

المجلة

بجدة الأسبوعية للتفكير والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٢٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ - ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دار الترجمة أيضاً

عفواً يا معالي الوزير !

هذا الطريق لا يؤدي

في عدد مضى من الرسالة اقترحنا على صاحب المعالي وزير المعارف أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يُختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابضين في لغتهم وفي اللغات الأوربية الثلاث ينقلون المعارف الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة والاجتماع إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها في طبعاتها الأصلية ؛ فإذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب في أوربا وظهوره في مصر إلا ربماً يترجم هنا ويطلع . وكان هذا الاقتراح مبنياً على أسباب ، مفصل النتائج ، موضح الآثار ، يقرأ القارئ فيحسبه لطول ما تردد في نفسه ، وتجدد في أمانيه ، صادراً عن رأيه أو منقولاً عن شعوره . لذلك دوى صدهاء في الأقطار العربية فجاوبته السنينة ، وتناولته أفلام بليغة ؛ ولودھنا نذكر كل ما قيل ، وننشر كل ما كتب ، لما اتسمت الرسالة لموضوع غير هذا الموضوع .

على أننا ننشر اليوم قولين رسميين داراً على هذا الاقتراح

في مجلس الشيوخ ، أحدهما سؤال للشيخ محرم أجمل فيه رأى الأمة ، والآخر جواب عنه لوزير المعارف لخص فيه رأى الحكومة ، ثم نقب عليهما بما نتقده أنه الحق والأحق

صاغ الأستاذ أحمد رمزي بك أحد أعضاء مجلس الشيوخ من هذا الاقتراح سؤالاً وجهه إلى معالي عبد الرزاق السنهوري بك فأجابه عنه بقوله : « توجد فعلاً بوزارة المعارف إدارة لأدب الأعراف النافعة التي أشار إليها حضرة العضو المحترم في الجزء الأول من سؤاله ، وهي ترجمة المؤلفات الأجنبية ونقل المعلومات العلمية والاجتماعية والأدبية وثمرات الثقافة الأجنبية إلى اللغة العربية ؛ وعند ما توليت وزارة المعارف أعدت تنظيم إدارة الثقافة العامة التي تتبعها إدارة الترجمة بما يكفل لها أداء مهمتها على الوجه الأكمل ، وراعت في هذا التنظيم الجديد أنه يمكن الوزارة من أن تستعين بمن يمكن الاستئانة بهم من الكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين فتمهد إليهم بأعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرفها لهم . وشكلت لجنة من كبار رجال الوزارة والجامعة لاختيار الكتب التي تترجم ، ووضع المناهج للترجمة وتعيين من يقومون بها . أما عن النفقات التي يحتاجها هذا العمل فإن الوزارة فضلاً عما يوجد في أبواب ميزانيتها من اعتمادات مرسودة لهذا الغرض لن تتأخر عن التقدم إلى البرلمان بطلب ما يحتاجه هذا العمل الواسع النطاق من اعتمادات جديدة »

أما سؤال الشيخ فاتجاه إلى الطريق الأقوم في تربية الشعب وترقية عقله ولثته وأدبه وعلمه وعمله ؛ وأما جواب الوزير فاحتفاظ

بالمط المؤلف من سيرة (الروتين)، وشاورة اللجان، ومطالعة التقارير، ومطالعة الحوافز، حتى يتراخى الزمن ويقتصر العزم ويتغير الحال وينقل الحكم وينتهي كل شيء إلى لا شيء ! وكان الظن بصاحب المال وزير المعارف وهو من هو في منطقته وتعمقه وجده أن يعالج نقل المعارف الأجنبية على أنه تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ، فيجعله الهدف الأول لسياسة الوزارة في عهده، والنار الهادئ لمن يسلك هذا الطريق من بعده.

إذن بقينا في نقل الثقافة الغربية على ما كنا عليه لم نتقدم خطوة: إدارة للترجمة في مراقبة الثقافة العامة تشرف على خمسة مترجمين أو ستة يقولون سفرأضحكاً في التاريخ العام لا ندرى في أى مدة ينتهى، أو كتاباً في تاريخ إنجلترا لما كولى لا ندرى أى أمة يفيد؟ ثم الاستماتة بالكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين (في أعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرف لهم)، وهذه هى الخطوة الجديدة في الإدارة القديمة ولكنها إلى الوراء، لأن اختيار الكتب وتوزيعها على أحرار المترجمين تجربة تحققت في بعض الميود ثم أخفقت. وإخفاقها إنما أتاه من نزعتها الفردية في اقتراح الفكرة وانتخاب الكتاب واختيار المترجم. وبقاء الأعمال الفردية رهن ببقاء الفرد. والقاعدة عندنا أن يهدم الخلف ما بنى السالف حتى لا يكون لغيره بناء يقوم ولا عمل يتم. أما إذا أسس العمل على قانون أو مرسوم عز على الرياح أن تنال منه وإن سفت عليه التراب وزعجرت حوله باللفظ.

وبعد، فهل نستطيع أن نعرف ولو بالحدس بعض الأسباب التى سوغت للوزارة أن تفضل إدارة للترجمة على دار للترجمة؟ يقولون إن من هذه الأسباب صعوبة الحصول على مائتى مترجم يصلحون لهذا العمل. واعتراف الوزارة بهذه الصعوبة اعتراف منها بالجزع عن أداء ما خلقت له؛ فإن من العار الذى لا يرحضه ندم ولا لوم ألا نجد في جيلين نشأتها وزارة المعارف في مصر وفي أوربا، مائتين يحسنون اللغة العربية ولسة أخرى أوربية، وتعليمهما كما نظن يبتدىء مع الدراسة الابتدائية، وينتهى مع الدراسة الجامعية ! فإذا سلمنا لهم أن ذلك هو الواقع فإن في الإمكان أن يسدوا هذا العوز بطائفة من إخواننا العرب، إذ الفرض الملى واحد، والتعاون الثقافى قائم. فإذا أعيانا الوصول إلى هذا، كما أعيانا الحصول على ذلك، بدأنا العمل بمائة أو بمئتين ثم نمشنا إلى أوربا في كل سنة عشرة من خريجي الأزهر ودارالعلوم

والجامعة يُحصون في درس هذه اللغات حتى يبلغ النصاب عدده. ولو أن (البثمة النهمية) — ولها في ذمة الوزارة سبائة فدان من أخصب الأرض — سارت على النهج الذى رسمه لها صاحب المالى حلى عيسى باشا لما شكونا هذا النقص وأحسننا ذلك القصور كذلك يقولون إن هؤلاء المترجمين إذا نيسر الحصول عليهم سيصيبهم داء الموظف فيعملون عشر ما يستطيعون؛ وإذن يكون عشرون رأسهم ضميرهم، خيراً من مائتين رأسهم كبيرهم. ودواء ذلك إذا جاز أن يكون عين كلوى تراقب، ويد حازمة تصرف، وتحديد يوى لإنتاج المترجم يطلب منه ويناقش فيه ويحاسب عليه أما غير هذين الاعتراضين على تهاقهما فردد إلى الهوى لا إلى العقل. والحق أن الغار الذى ضفره عطارده لهذا العمل العظيم الخالد لا يزال مرفوعاً بين يديه ينتظر الرؤوس التى تستحقه. وبازلت قوى الأمل في أن يكون من نصيب الصديقين العزيزين عبد الرزاق السهورى واحداً أمين. فليت شمري أهو الحذر الذى يخطئ، أم هو القدر الذى يصيب؟

يا معالى الوزير ! إنا أمة جاهلة فينا أفراد يعرفون. وإن من الخزي أن نظل كذلك وآباءنا هم الذين علموا الشعوب ومدوا العالم ! إن الجهر باللغات الأجنبية عندنا مذمة وهو عند غيرنا محمده. وسلة ذلك أن لفتنا لا تزال لغة العلم القديم؛ فن اكتفى بها أنهم بخفة الوزن وفلة العلم. وهيهات أن ندرأ عنها وعنا هذه المرة إذا لم تنقل إليها المعارف الحديثة على الوجه الذى أقترح ! بهذا وحده يامعالى الوزير تعود لفتنا إلى الحال التى قال فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الأندلس: « إنا نحب أن نقرأ الشعر والقصص، وندرس الدين والفلسفة في اللغة العربية، لأنها لغة عذبة الألفاظ بليغة الأداء. ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء كافة لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم. وكما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها. فإذا حدثهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا: إن الفائدة منه لا تساوى التعب في قراءته^(١) ... »

ذلك ما قالوه في لفتنا بالأمس؛ وهو نفسه ما نقوله في لغاتهم اليوم ! فهل في ذلك لقوم بلاغ؟

جميع عزيزات

(١). تاريخ العرب في أسبانيا لدوزى بالفرنسية ج ٢ ص ١٣

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف الذمشاشي

— ٣ —

—>>><<<—

* في ج (١٠) ص ٢٦٣ .

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله (م) والقلب عندكم موهوق
وجاء في الحاشية : موهوق يروى مكانها موهوق .

قلت : لم يرو موهوق مكان موهوق في كتاب ، ولم ينجى ،
ذلك عن رواية . ولن بعد تصحيح ناسخ أو تطبيع طابع رواية
من الروايات ... وكان العلامة الشيخ إبراهيم اليازجي وجد هذه
اللفظة (موهوق) في طبعة كتاب فارغ إلى تخطئة الشاعر ،
قال في مجلته (الضياء) س ١ ص ٥١٥ :

« وأغرب منه ورود مثل ذلك في كلام أناس من أهل
الجاهلية كقول عدى بن زيد العبادي : ويلومون ، البيت ...
يريد موهوق »

والشاعر لم يقل (موهوق) وإنما قاله المطبعة ، والبيت من
شواهد اللسان والتاج في (وهق) .

ورود في ج ١٠ ص ٢٦٤ في قصيدة عدى هذا البيت :

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يدوق
(مرة) هنا هي (مزة) بالزاي . والمزة — كما في اللسان —
الخمرة التي فيها مزااة ، وهي طعم بين الخلاوة والخوض ، وحكى
أبو زيد عن السكلايين : شرابكم مز .

وجاءت (مرة) في طبعة الأغاني . والبيت من شواهد
اللسان والتاج في (م ز ز) والبيتان من قصيدة مشهورة ،
مطلعها :

بكر العاذلون في وضع السبح (م) يقولون لي : ألا تستفيق
وفيها هذا البيت المشهور :

فدعوا بالصباح يوما فجاءت قينة ، في عينيها إبريق
ولم يورد أبو الفرج هذه القصيدة في كتابه (الأغاني) في

أخبار قائلها المنسوبة إليه ، وأوردها في أخبار حماد الراوية ، قبل
صاغها حماد ... ؟

* في ج ١٠ ص ٣٧ وقال (يعني ابن الشبل البغدادي) :
احفظ لسانك ، لا تبسج بثلاثة

سرومال — ما استطعت — ومذهب
فملى الثلاثة تبسج بثلاثة بمكر ، وبحاسد ، ومكذب
قلت : بمكفر . وجاءت في (طبقات الأطباء) بمفكر .
والفكر — يا أبا العرب — لا يكفر ...

* في ج ٦ ص ٢٣٧ : فكان إذا سمع منه كلاماً يسجع
فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه — يَبْسُجُ عَيْنَهُ ، وينثر منخره .
وجاء في الشرح : بلس عينه كنصر وأبلى فتحها وأقفلها .
قلت : جاء في اللسان : بلسه ينمقه بلساً وأبلسه فتحه كله ،
وقيل فتحه فتحاً شديداً ، وأغلقه ، ند .

وعندى أن الأصل (يُبرِّقُ عَيْنَهُ) قال التاج : برق عينه
تبريقاً إذا وسمهما وأحد النظر ، قال أعرابي في المعانية بينه
وبين أهله :

فعلقت بكفها تصفيقا

وظفقت بعينها تبريقا

نحو الأمير تبسج تطليقا

وفي الأساس : ومن المجاز : وبرق عينه : فتحهما جداً
ولمعهما .

وأغلب الظن أن (ينثر منخره) هي (ينثر منخره)
أي يرفعهما .

والقول لأبي حيان التوحيدي في صاحب بن عباد وأبي
طالب العلوي أحد أصحابه ، أي فكان أبو طالب إذا سمع كلاماً
منه أي من صاحب الخ ... وأبو حيان هو صاحب كتاب
(مثالب الوزراء) والوزيران هما ابن العميد والصاحب ...
* في ج ٧ ص ١٨٢ .

وصاحب أصبح من بره كلاء في كانون أو في شباط
بدمانه من ضيق أخلاقه كأنهم في مثل سم الخياط
نادمته يوماً فألفيته متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهني أنه بعض التماثيل التي في البساط

قلت : جاءت (شباط) بفتح الشين وهي بضمها . في التاج : شباط وسباط كغراب ايم شهر من الشهور بالرومية . قال أبو عمرو : يصرف ولا يصرف . (وهو) قبل آذار يكون بين الشتاء والربيع . قال الأزهري : وهو من فصول الشتاء ، وفيه يكون تمام اليوم الذي تدور كسوره في السنين ، فإذا تم ذلك اليوم في ذلك الشهر سمى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس ، وهو الذي يقيم به إذا ولد مولود في تلك السنة أو قدم قادم من بلد .

✽ في ج ٨ ص ١٨٢ ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خان ، ويخبر بما هو مجحم .

قلت : أغلب الظن أن الأصل هو (الإبقاء على أهل العلم) في الصحاح : أقيمت على فلان إذا أُرغيت عليه ورجته . وفي الأساس : وأبقى عليك بقاءً وبقيّة ، وأرعى عليه : أبقى ، وهو حسن الدعوى والدعوى كالْبَقْوَى والبُقيّا .

ومن أمثالهم : لا أبقى الله عليك إن أقيمت على . قال الميداني : أقيمت على الشيء إذا تركته عطفاً عليه ورجحة له . يقال هذا للمتوعد ✽ في ج ٦ ص ١٨٥ ودخل إلى صاحب رجل لا يعرفه ، فقال له صاحب : أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسماء في اللفظ والكنى

كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

فقال له : اجلس يا أبا القاسم .

قلت : رواية البيت هي :

فقد تلتق الأسماء في الناس والكنى

كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

جاء في (خزنة البغدادي) . قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وذلك كما قال صديق مولانا القريب وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب وقد قيل له : أنزل على أبي قطن قبيصة ، فخبه ابن مخارق الهلالي فإذا هو آخر ، وذم قراء وجواره فقال :

سرت فاسرت من ليلىا ثم وافقت

أبا قطن ليس الذي لمخارق

وقد تلتق البيت . وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج

(ولكن ميزوا في الخلائق) والذي في الخزنة هو أضبط . و (دخل إلى صاحب) ربما كانت (على صاحب) وإن جازت (إلى) .

✽ في ج ١١ ص ١٥٥

كنت في عينها كروود كحل صرت في عينها كشوك السبال وجاء في الشرح : السبال سنابل الحنطة وغيرها جمع سبلة . قلت : هو السبال ، في اللسان : السبال بالفتح شجر له شوك أبيض وهو من المضاء . وروى اللسان والتاج للأعشى (والبيت من معلقته) :

باكرتها الأغراب في سنة النوم (م) فتجري خلال شوك السبال^(١) قلت : الأغراب الأقحاح والفرد غرّب . وقد جاءت الأغراب هنا في المعجمين بالعين وإنما هي بالنون .

✽ في ج ٨ ص ٢١٠ ومنها (أي من وجوه الواو ومواقمها) أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك : استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة .

قلت : جاءت الخشبة مرفوعة وهي منصوبة . والقول للامام أبي سعيد السيرافي في الناظرة بينه وبين متى بن يونس القناني . والإمام يعني بالفعل (استوى) ارتفع لا تساوى حتى يجوز العطف ، ويقصد واو المفعول معه لا العاطفة إذ قد ذكر هذه في أول بحثه فقال : منها معنى العطف في قولك أكرمت زيدا وعمراً و (استوى الماء والخشبة) من أشلة المفعول معه في مع الموامع وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ...

✽ في ج ٨ ص ٨١

رأيت قلنسوة تستغيث (م) من فوق رأس تنادي خذوني وقد قُلِعت وهي طوراً تميل (م) من عن يسار ومن عن يمين قلت : وقد قُلِعت فهي الخ . ولو قلعت ما كانت تميل من عن يسار ومن عن يمين ...

✽ في ج ٩ ص ١٢ وقلت كما قال رؤبة لا استأزره أبو مسلم صاحب الدعوة :

لييك إذ دعوتني لييك أحد ربي سابقاً إليكا

(١) السبال أصوله أمثال تايأ الغداری ... قال الأعشى : باكرتها البيت ، يصف الحر (اللسان) .

على فارعن الطريق

صور من الجيل الجديد

للاستاذ سيد قطب

١ - تلميزة

لقيتها منذ عام واحد صبية أقرب إلى أن تكون طفلة . كانت في السنة الرابعة الابتدائية ، تلميذة لأحد الزملاء ... وكان مني حينما تقدمت هي إليه لتحييه تحية التلميذة للاستاذ في الطريق ، وسلمت علىّ معه في براءة .

واليوم لمحتها . لا في الطريق ، ولكن في محل عام من محال «السندوتش» وغير السندوتش أيضاً ! لم تكن وحيدة . كان معها رفيق تلعب على كتفيه نجمة ... قلت لعله أخوها أو قريبها فما تجرؤ طفلة على الجلوس هكذا في ركن منزلة خفي عن الأنظار ، مع غير قريب !

ولم ألق بالآ إلى الأمر بعد النظرة الأولى . ولكن ماذا ؟

قلت : رواية البيت هي :

أحمد رباً ساقني إليك

وبعده :

الحمد والنعمة في يديك

وقبل الأول :

قلت ونسجى مستجد حوكا

وعندى أن (صاحب الدعوة) هي صاحب الدولة وإن جاءت الدعوة في كتب كثيرة .

« في ج ٧ ص ٢٥٠ فأما أخونا أبو الحسين قريبه - أعزه الله - فقد أزمى بإخراجه إلى أعظم منه .

قلت : ضبّط (أعظم) بالكسر كأنها مجرورة بالي ، وجوزت كسره عند ضابطه الإضافة . والقول هو : أزمى بإخراجه إلى أعظم منه . يقال أزمته الشيء فالزمه كما في الصحاح

٢٤٠٤١

هأنذا اسمع أصواتاً فيها شيء . شيء غير حديث الإخوة أو الأقرباء أو يمكن هذا ؟ أو يكون ؟

نعم يكون فنحن في الجيل الجديد !

لم تكن قد رأيتي بعد كما رأيته ، لقد كانت مستغرقة فيما هي فيه . ولكن ها هي ذى تراني ... وأقول الحق كي لا أظلمها ... لقد خجلت وتوردت وجنتهاها ! أم لعلها قد توردت لسبب آخر ؟ على أية حال لقد همست له ، وهمس لها . ثم إذا هما ينسجبان ... أأكون قد عكرت عليهما الجلسة « البريئة » ... ؟ ربما أكون !

٢ - عذراء

كان يقف في محطة الترام ، وقد غاب . كانت يقطع الطوار جيئةً وذهوباً من ملل الانتظار . ونجاة يرفع عينه إلى شرفة المنزل الفخم المقابل فتقع عينه على فتاة .

لم يكن يريد شيئاً حينما رفع يده يمر بها على موضع شاربه ! كانت حركة آلية شبه غريزية في هذه المفاجأة . ولكنه وجد يدها ترتفع بالتحية ، ولما كان الموقف كله هزلاً في نظره ، فقد تحرك حركة غريزية أخرى ، حرك أصبعه للاستدعاء !

وغيره ، وأزمه به كما في التاج ، ولم يرد أزمه إلى الشيء . والجملة من رسالة للصاحب بن عباد إلى أبي على الفارسي وقد جاء فيها :

« والشيخ - أدام الله عزه - يرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بمهارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط كما يخاطب الشيخ الاستفادة منه التلميذ الآخذ عنه »

وكلام الصاحب هذا مطرب مثل (١) . وأبو علي هو « أوحده زمانه في علم الرية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق البرد » كما روى ياقوت في كتابه . وما القول في إمام ، ابن جنى تلميذه ؟

(١) الأساس : وأعلمه الضراب .

واصغفت من الشرفة ، لتصي دقائق قليلة ، ثم يحدها بمسد ذلك على الطوار !

لقد ارتبك قليلا . ولكنه تماسك ليرى ! فما كان يحظر على باله أن يتم الأمر كله بهذه السهولة . ومن يدري لعلها لم تلحظ إشارته ولم تحس بوجوده وإنما هي تمضي لشأن خاص . وقال كلمة عابرة ، مما يقوله الشبان للفتيات . وما كان أشد دهشته حين أشارت إليه أن يصمت هنا وأن يمضيا هناك .

إنها لتلحظه هنا كل صباح . وإنها لتعرف أنه مدرس في المدرسة الثانوية بالحى ، وأنه خاطب ليتزوج . فأين هي « دبة » الخطوبة ؟

واستمر في عشه فقال : لقد عدلت نهائيا عن الزواج . فما راعه إلا أن تفره فتاة على هذا العزم . لأن الطلاقة هكذا هي أليق الأوضاع !

والتقيا مرتين قبل أن ترافقه إلى داره ! ...

وفي الصباح سأل في سخرية : ألا تتزوجينى ؟ قالت : لا . إن أبى مستشار ، ولن يرضى بالدرسين ! وسأله عن شاب آخر يدرس معه في المدرسة نفسها : ما اسمه وأية مادة يدرس ؟

وواعده مرة ثم أخلفت اليعاد !

وبعد يومين شاهدها مصادفة ... برفقة ذلك الشاب ! إنها من الجيل الجديد ...

٣ - خطيبة

جلسا قبالتى فى ترام رقم ١٥ ، وكنا ثلاثة فى الحجرة ، كان يبدو عليه شقف وفتنة ، وكان يبدو عليها دلال وإغراء ... إنهما خطيبان . لقد لحمت فى أصبعيهما « دبلتين » فى اليد اليمنى ... وسمعتها تقول : الحمد لله إذ كنت موجودا لثلاث نظن شيئا ! وقال - فى لهجة يخالطها العتاب - : ماذا تقولين ؟ أظن شيئا ؟ ماذا أظن ؟ وافرضى أنني لم أكن موجودا ... اسمى : إنه لا يمكن أن يجول فى نفسى أى شيء عنك . إن على الإنسان أن يبحث عن الأسرة أولا وعن الأم ثانيا ... ثم يثق ، فلا يقتش بعد ذلك أبدا . !

وتبادلا النظرات فى إغراء ...

ونزل فى محطة وتابع الترام سيره ...

ثم يصعد فى المحطة التالية مباشرة رجل آخر يأخذ مكان الرجل الأول . فتتصافح الأيدي والعيون والأجسام أيضا ... ويسأل : أين نزل ؟ فتجيبه وهي تنمزمز فى المحطة السابقة . فيعقب هذا ضحكة مشتركة ساخرة ... ثم يأخذ وحدها طابع الحسد ، وهي تقول :

إنت عارف « ياسوسو » أنني قبلته من أجل خاطرك انت ! فيجيب وهو يرت على يدها بين يديه : « معلش » ياميسى ... « برقان كويس » !

٤ - زوجه

كنت أعرفها سيدة فاضلة . وكانت تزور أسرة أخرى أعرفها بنظام وأطراد ... ثم انقطعت عنها فلم أعد أراها هناك .

قلت لها : لم لا تزورين بيت فلان ؟

فترددت هنيئة ، ثم انطلقت لسانها ... لسان حواء !

قالت : لأننى أخجل أن أقابل فلانا هذا ، بعد ما اتخذتني زوجته ستارا لأشياء ، وهو يثق بى فلا يفكر فى هذه الأشياء . وانطلقت تحكى :

لقد كانت يوما ما هناك ، ثم استأذنت مبكرة لأنها تنوى الذهاب إلى الخياطة ... وما كان أسرع الزوجة لأن ترجوها فى الانتظار هنيئة حتى تهيأ للخروج معها إذ أنها قد غاضبت خياطتها وتود أن تعرف خياطة جديدة .

ولم يمانع الزوج بطبيعة الحال ، فخرجتا بعد قليل .

ولم تكن صديقتها لتشك فى أنها تعنى ما تقول . فلقد دهشت حينما فاجأتها الصديقة بعد خطوات بالاستئذان منها بما أن قامت بمهمتها ... وأنها تقصد إلى جهة أخرى ... إلى موع « برى » !

وقالت الصديقة الدهوشة : ولكن يا فلانة ما الذى تنقمن من زوجك ، وهو رجل مهذب ، ومركزه الاجتماعى كبير وسيرته معك طيبة ؟

وقالت لها الزوجة : حذار أن تفهمى أنني أنقم من زوج

شيئا . إنه ما تقولين وأكثر . وإنه لو ولد أطفالي ، ورب بيتي ...
ولكن يا فلانة ... لا بد من التغير بين الحين والحين !!!
وفقرت الصديقة فاهها عجبا ... فا راعها إلا الزوجة تقول :
أوه . يبدو أنك من الجيل الماضي ! نحن في جيل جديد !!
٥ - أم

قلت له : لماذا فصمت الخطبة ، وقد كنت معجبا بالفتاة ؟
قال : أمها !

قلت : ومالك أنت وأما إذا أعجبتك ذاتها ؟
قال : فإذا شاءت هذه الأم أن تغلب ابنتها ؟
قلت : ويحك ! أهي ألتاز ؟
قال : كلا ! هو ما أقوله لك .

قلت : اتق الله ! ولا يبلغ بك العبث هذا المبلغ في الحديث
عن العائلات !

وأقسم : إنه لصادق . وإنها لامرأة نصف ، لم تشبع بعد من
الدنيا . وإنها لا ترى الحياة إلا ضراعا ... ولو مع ابنتها !
ولما كنت أعرف صدق صاحبي - كما عهدته - فقد
رحت أحوقل وأستميد ، وأخطب كفا على كف ... ثم أقول :
دعنا من الأخلاق . فأين الأمومة يا أخي ؟ عاطفة الأمومة ؟
قال : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضي . يا مولانا نحن في

جيل جديد !

إنها هكذا تقول !!

٦ - أب

نزل من عربته الفضة ، وجلس على « البار » الصغير تحت
عمارة « الإيموبليا » أمام مفرق الطريق ... جلس ينفض المرات
من بعيد ، ويحلق في السيقان العارية ، ويتبعها بنظره إلى بعيد !
ثم لمح على مقربة رجلا وفاتا ينتظران افتتاح الطريق للمرور .
ورأيت الرجل يشين الفتاة في حذر وتهيب على هذا الجالس ، ثم
يندفع للتسليم عليه في انحناء ، ويدعو الفتاة لتسلم على عمها
فلان بك .

واتسعت حدقتا البك ، واختل توازن عضلات وجهه وهو
يتسم ويحلق ويهز يد الفتاة آن .

وقال : لماذا لم تمر عليّ لتذكرني بمألتك ؟

قال الرجل في تلثم : البركة فيك بإسعادة البك .
قال : غدا - إن شاء الله - لا بد أن تمر عليّ (ونظر
للفتاة) ! - ... والآن تجلسان لتناول شيء ما .
وقال الرجل : متشكرين بإسعادة البك ، وهزت الفتاة رأسها
شكراً .

قال سعادة البك : آه . طيب . هنا لا يناسب الجلوس .
ولكن ستأخذان من الشاي في « جروبي » غداً إن شاء الله !
وفي الصباح تمر عليّ في المكتب من أجل مسألتك !
وسلما وانصرفا شاكرين ... والرجل تبرق من الفرح عينا
ونظرت فاذا البك يتقصى تقاطيع جسد الفتاة - ابنة الرجل -
وشفتاه تتلظان وعينا !!

منذا الذي دفع بالجيل إلى الهاوية ؟ منذا الذي جعل هذه
الصور الشائثة تتوالى أمام عينيه دون استنكار ؟
بضعة . و أخير ... بعضها يسمى مجلات . وبعضها يسمى
أفلاما . وبعضها يسمى أغاني تتصور جدران البيوت عن طريق
الذياع ... وبضعة « هلافت » لا يهمهم أن يكون في البلد فراش
نظيف . يسمون أنفسهم من حلة الأقلام !

سبر قطب

إدارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس المحلة الكبرى البلدي
في المناقصة العامة توريد ٧٠٠ أردب
شعير و ٣٥٠ حمل تبين وقد تحدد ظهر
يوم ١٨ / ٦ / ١٩٤٥ لفتح العطاءات
بديوان البلدية ويجب أن ترفق العطاءات
بتأمين ابتدائي قدره ٠.٢٪ من قيمتها .

٣٥٤٢

مناقشات في الصيف...

الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

—>>><<<—

- ١ -

« التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة التخيلية عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والشاهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ... فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ... »

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية و ... إنما هي ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخص تعبر ، أدر كنا سر الإعجاز في تعبير القرآن ... »

والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله حينما تعرض لنرض من الأغراض التي ذكرنا ... »

فليس هو (أى التصوير الفنى) حلية أسلوب ولا فلتة تقع حينما اتفق ، إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة «

بهذا التعميم يبسط الأستاذ سيد قطب رأيه الذى يربط به إدراك « سر الإعجاز في تعبير القرآن »

وقد قلت في مقالى السابق^(١) عن كتابه « إن الحكم بتفضيل

القرآن للتصوير كأداة مفضلة في التعبير يقتضى الاعتماد على الإحصاء

وظهور نتيجته بكمية عددية ، فهل إذا أحصينا طرق التعبير في القرآن

نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟ إنى أتأكد له أن

يستعرض صفحات القرآن ، فيوجد أن التصوير الفنى أداة واحدة

من أدوات التعبير الكثيرة في القرآن ، وليست هي الغالبة ولا

الكثيرة ، فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافئ المعنى واللفظ ،

الذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعمل لفظة واحدة

من غير أسرة الألفاظ التي في الجملة ليحرك بها الخيال ويلبس الحس

لأسرافيتا ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابس الخيال متساوية ،

(١) انظر العدد ٦١٧ من الرسالة .

وتارة تكون ملابس التصوير وإثارة الخيال هي الغالبة ، وتارة تكون هي الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن في كل أولئك بأسلوبه المتفرد بسر إعجازه . فليس التصوير الفنى وحده « هو سر الإعجاز في تعبيره » .

ولكن الأستاذ سيد يقول في الرد على « نعم (أى أن نتيجة الإحصاء تؤكد رأيه) وقد كانت مبعثى هي هذا الإحصاء وكان حكى قائما على هذا الإحصاء »

وقد وصلنا بهذا الرد إلى مكان تنفى فيه الأمثلة والشواهد ما لا يبنى الجدل . ولست أستطيع أن أسرد « القرآن كله » في مجلة الرسالة للاستشهاد كما لم يستطع صاحب « جحا » أن يعد النجوم حينما سأل « جحا » كم غدد نجوم السماء ؟ فقال له : كذا ... فلما تشكك ذلك الصاحب قال له جحا : إن لم تصدقنى فدها أنت ... »

وهأنذا أفتح المصحف حينما اتفق ، فأقرأ من سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يعلمون أن أنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ، وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ؛ فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . إنه كان عفورا رحما » . ولنفتح القرآن مرة أخرى حينما اتفق ولنقرأ من سورة الأنعام :

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . هو الذى خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا . وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تموتون . وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . وماتت أيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتىهم أبناء ما كانوا به يستهزئون » . ولنقرأ من سورة الأعلى :

تَخَطَّفُهُ الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ... »
 فهل نستطيع أن نقول إن أمثال هذه الآيات التي ذكرناها
 من سور الفرقان والأنعام والأعلى والنساء والأعراف لا تعبر عن
 « معان مجردة أو حالات نفسية أو صفات معنوية أو نماذج
 إنسانية ... الخ » وهل نستطيع أيضا أن نقول إن « نوع » التعبير
 في هذه الألوان واحد من الجهة الفنية ؛ وهل لا نلصق في هذه
 الآيات نفس الإعجاز الذي نراه في غيرها من أدوات التعبير القرآني ،
 حتى تربط ما بين الإعجاز وبين التصوير الفني ؟

لا . إلى لا أقر الأستاذ قطب على هذا التعميم ، وكنت
 أحسبه فلتة قلم دعا إليها حماسه للموضوع ولكن رده على بسد
 ذلك يؤكد أنه « يعني ما يقول مرتبكتنا فيه إلى الدليل » . فلم يكن
 لي بد أن أسرد له وللقراء تلك الشواهد التي سلفت ، بحيل إياهم
 على استعراض القرآن . ليتبينوا أن « التصوير الفني » أداة واحدة
 من أدوات التعبير الكثيرة : وأن القرآن يحتفظ بروحه الفذ
 وجميع خصائصه الإعجازية في كل هذه الأدوات ...

— ٢ —

أنا ما خشيت على القرآن من إدراك « سر الإعجاز في تعبيره »
 كما ظن الأستاذ سيد ، وإنما بينت أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز
 وبين التصوير الفني وحده نكون قد سويتنا بين تعبير القرآن وبين
 غيره من موارد أرباب البيان الرفيع في كل لغة إذ أننا نجد في
 موارد استخدام التصوير الفني للتعبير عن « المعاني الذهنية
 والحالات النفسية والحادث المحسوس والشهد المنظور ... الخ »
 ومع ذلك لا نجد في بيانهم هذا اللون المتفرد ولا نجد في نفوسنا
 هذه الاستجابة المسحورة لتخييلهم وتصويرهم كما نجد حينما
 نتلو القرآن .

فأكرر للمرة الثانية أن المعجز من أمور الحياة ما لا يمكن
 الوصول إلى سره واستخدامه ، وكل أدوات التعبير التي أشرنا
 إليها قد استخدمها البلاء . ولكن شتان بين الروح الخفي الذي
 يترق في بيان القرآن وشع من « هياكله » البيانية في السطور وما
 بينها وبين الهياكل البيانية البشرية الجميلة ... شتان بين ما يمكن
 إدراكه بالمقاييس والمسافات ، وبين أسرار ذلك العالم الأملئ الطليق

« سُبِّحَ اسمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الذي خلق فسوَّى . والذي
 قدَّرَ قهْدِي . والذي أخرج الرعى . فجعله غنَاءً أَحْوَى .
 سُنْقِرُكَ فلا تنسى . إلا ما شاء الله . إنه يعلم الجهر وما يخفى .
 ويسرك للسرى . فذكر إن نعت الذكر ... »

ولنقرأ من النساء : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا
 من ظلم وكان الله سميما عليما . إن تُبَدُّوْا خيرا أو تخفوه أو
 تَمْفُؤْا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا . إن الذين يكفرون
 بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن
 ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك
 هم الكافرون حقا ، وأعدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا
 بالله ورسله ولم يفرِّقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ،
 وكان الله غفورا رحيما » . واقرأ من سورة الأعراف : « ولقد
 أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
 غيره ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا
 نراك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ، ولكني رسول
 من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين .
 أو تحببهم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا
 ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك ،
 وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عَمِينَ » وهكذا
 سأنصب وأنصب القاريء من عدد آيات القرآن للاستشهاد بها في
 هذا المرض كما يتعب من بعد نجوم السماء ...

فأين في هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفني »
 الذي لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله ، حتى وهو طفل ، بحبكه
 في اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذي الظلال
 والأجواء الشاملة كما يتجلى في « ومن الناس من يعبد الله على
 حَرْفٍ ، فإن أصابه خير اطمان به ، وإن أصابه فتنة انقلب على
 وجهه ... » وفي : « مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
 اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ حَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ »
 وفي « له دعوة الحق . والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يُسْتَجِيبُونَ
 لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسُ كَفِّهِ إِلَى السَّاءِ لَيَبْلُغَنَّاهُ ، وما هو
 بيبالنه ... » وفي « ومن يشرك بالله ، فكأنما خسر من السماء

لإثبات القضية الكبرى أن يعتمد على « المنطق » الوجداني .
وإني أرى الذهن في إثبات العقائد وخصوصاً « التوحيد »
هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها ، كما يثبت في المقال السابق
بهذا الخصوص .

والذي يدعوني إلى أن أفهم أن الأستاذ سيد يذهب إلى أن موطن
العقيدة - بما فيها التوحيد - هو الوجدان قوله « موطن العقيدة الخالد
هو الضمير والوجدان » وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد
من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها
ولا أقربها طريقاً » فلدع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الراقية
أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة . فأما العقيدة
فهى في برجها العالى هناك ، لا يرق إليه إلا من يسلك سبيل
البداهة ويهتدى بهدى البصيرة ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء
والأضواء .

فهذه كلمات صريحة (فيها الحصر بأمّا والنفي والاستثناء)
في إقصاء الذهن عن منطقة العقيدة ، وفي التفريق بين عمل الذهن
وعمل الوجدان في الحياة والعقيدة ، اضطرت إلى مناقشتها في مقال
السابق كظاهرة لذهب كلامي فشا الحديث به في هذا العصر الذى
اتصل فيه المسلمون بنيرهم من الذين وجدوا أصول دينهم لا تستقيم
مع الفكر والحكم العقلى فالتمسوا العقيدة عن سبيل الوجدان وحده
ومع أن هذا النص من كلام المؤلف يكنى لأن يسلكه مع
القائلين بأن منطقة العقيدة هى الوجدان وحده ، فإني لم أغفل
النظر إلى ما قاله قبيل هذا النص مما يستفاد منه أنه لا يخرج الذهن
إخراجاً كلياً من منطقة العقيدة .

ولذلك لم أناقش كلامه مناقشة حرفية ولكن ناقشت الفكرة
التي تشيع في جو الفصل كله . ولئن هذا الجدب بالمثال فإنه أبلغ
في الحجّة وأروح للنفس : قلنا إن مسألة المسائل التي دار عليها
أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحيد . وأنسب الآيات التي
تناوت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء . وقد ساقها المؤلف
كدليل على ما ذهب إليه فلنقرأها معاً :

« أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ .
(لا) يُنْشِرُونَ) كما ضبطها المؤلف . فليضمها إلى ما نهى إليه

الذى تنزل منه في القرآن روح متفرد لا يستطاع حده بمحدود وأربطة .
فلا يصح أن تربط بين سر الإعجاز وبين أى أداة من تلك الأدوات .
إن الكون منع الله والقرآن كلام الله ، وأسرار الإعجاز في كلامه
كأسرار الإعجاز في صنعه ، نستطيع أن نصف آثارها في نفوسنا
وعجبنا منها . ونستطيع أن نهتدى فيها إلى معالم للجمال تقاس ،
وعجائب للبلغة تجلّى ولكننا لا نستطيع أن نقول : إنها موضع
سر الإعجاز في تعبيره .

— ٣ —

كل ما في القرآن من « منطق » الوجدان في إثبات عقيدة
التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخذ حرك به
الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية ،
ولم يسبقها بأسلوب جاف كأسلوب الناطقة الرياضيين الذى تتراحم
فيه المعاني في ألفاظ ضيقة . وأى كلام اعتمد على « الحقائق البديهية
الخالدة » وعلى مقدمات ونتائج صحيحة سواء أكانت محسوسة
ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة فهو منطق ذهني . فإذا جمع
إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق
الطلمة فهو منطق « وجداني » كذلك . منطق الوجدان - وإطلاق
« المنطق » هنا تجوز في التعبير - هو الذى يتأثر بالخطائيات
والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التي لا تعتمد على
الحقائق الثابتة و « نقط الارتكاز » الواضحة في عالم البداهة و « الحكم
العقلى » . والتأثر بهذا « المنطق » تأثر وقتى لا يترك رواسب في
الذهن ومقاييس تملأ اليد ، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها ،
ولأنها ألوان وظلال ونهات وأعراض غير ملازمة تنفعل لها النفس
انفعال الانقباض أو الانبساط وقتاً ثم يزول تسلطها عليها .

ولست هذه الأعراض هى طريق إقرار « العقائد » ووعائهم
الفكر والحياة عند الراسدين المتيقظين الواعين ، وخصوصاً الدعامة
الأولى والقضية الكبرى قضية « التوحيد » التي هى قضية
الكون كله وأعظم شئونه ! إن الوجدانيات من الخطائيات والشعر
والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء ، وليست وسائل يقين ثابت
للذين يبحثون لمقوله عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء
والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى

والإذعان مادام عاجزاً عن الحرب من أقطار السموات والأرض ...
 « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمددْ
 بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع فليُنظر هل يُذهِبَنَّ كيدَهُ
 ما يغيظ ! »

وهل فيما زعمته الوثنيات والإشراكات شخصية إلهية لم
 تسأل ؟ إن آلهة اليونان والهندوس وغيرها كما وردت في
 أساطيرهم ذات صفات عاجزة فيها العبث واللطف والمنارعات التي
 كان وراءها مسئوليات .

« أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم ! » إذاً
 نحن في مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحججة بالحجة ونشقيق
 الدليل وراء الدليل ، ولنا في مقام تسلیم وجدان عن طريق
 تعريض « الحس والقلب للأمداء والأضواء » والمخططات
 والشعريات والنهات .

« هذا ذكر من متى وذكر من قبل » وهذا مقطع عظيم
 أيضاً من مقاطع الاستدلال هوما يسمونه « الدليل التاريخي » إذ
 أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بنير الوحدانية ... إذاً
 فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى
 أثبت أنهم لا يستندون في دعواهم إلى أي حق ، وإنما إلى التكبر
 والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون
 الحق فهم معرضون » نتيجة بنطقية ذهنية واضحة لتقديمات واضحة
 أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً للجدل مجادل ...

فكيف بعد هذا كله يضرب الأستاذ قطب هذه الآية مثلاً
 في أن القرآن تناول مشكلة التوحيد بلا جدل ذهني ؟ ! إن المنطق
 هنا منطق ذهني دقيق أخذ من موارد الكون والنفس جميعاً ، غير
 أنه ورد بتعبير القرآن الفني الجميل المعجز الذي يُدنى البعيد
 القصي ...

ألم يقل : « فَأَمَّا يَسِرْنَاهُ بِلِسَانِكَ بُشِّرْ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتَنْذِرْ بِهِ
 قَوْمًا لَدًّا » وما أدراك ما لَدُّ العرب . وجدالهم ! « بل هم قوم
 خصِمُونَ »

ولكن « إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً » وقد أتاها
 من القرآن إعصار من البيان كُثِبَهم على منّا خَرِمَ وأذفانهم !

عبد النعم محمد معروف

فضيلة الشيخ السبكي [لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ،
 فسبحان الله رب العرش عما يصفون ! لا يُسألُ عما يفعلُ
 وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة .. قل هاتوا برهانكم !
 هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ، بل أكثرهم لا يعلمون
 الحق فهم معرضون » فهل ترى هذه الآيات تركت حجة «ذهنية»
 يمكن إيرادها للسكر على مضاعف القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا
 آلهة من الأرض هم يُبشرون » فالإله هو وحده الذي يخلق ويحيي
 ويُبشِّرُ الخلائق من الأرض . فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال
 بكلمة واحدة يدور بها ذهن في استعراض سريع للأرض
 وكائناتها للبحث عن حي مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه
 للدليل الاستقرائي بعينه ! ذلك الذي بنى عليه (يكون)
 الفلسفة الاستقرائية الحديثة .. وإنه للدليل الفضل عند المربين
 وعلماء النفس .

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وهذا مقطع آخر من
 مقاطع الاستدلال في كلمة واحدة أيضاً .. وإنه للدليل التطبيقي
 بعينه ! أحد صروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيسه العقل في
 ظروفه المتسمة ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور
 إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعدين
 ولا يمنع خلافهم وتنافسهم وتحاسد هم آلهة في طباع مختلفة
 عن الآدميين . فإن التصور البشري لا يستطيع أن يجرد الآلهة
 من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطق هو ، فهو معذور !

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ذلك موقف
 وجداني فيه انفعال وتقرز من تلك الدعوى وتنزيه لله عما وراءها
 من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه
 تعود الآيات بعده إلى الاستدلال « لا يُسألُ عما يفعلُ وهم
 يُسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال
 هو الدليل العملي الواقعي ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة
 الكبرى وله في الفلسفة المصرية المقام الأول إذ به تسير الحياة
 العملية وهو محور الاجتماع ...

فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَلَكَ الناسُ أن
 يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة فلا يصح أن تكون آلهة ما دامت
 تقع عليها الدينونة ... ولكن الذي خلق السموات والأرض
 لا يملك عابده أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم

البحث العلمي

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

[فيه ما نشر في العدد الماضي]

٢ - قوة الملاحظة والتميز على الاستنتاج

من الصفات اللازمة لنجاح البحث في عمله أن يرى بينه وبصيرته ما لا يراه معظم الناس . فالشخص المادى إن أعطيته زهرة نبات لا يلاحظ فيها سوى لونها وحجمها ورأحتها . أما الملاحظ القوى للملاحظة فإنه يرى فيها ما يشغل فكره ويحير له . فإن ما رآه داروين وباستير وغيرهم من فطاحل العلماء قد مر بلا شك على نظر الملايين من الخلق قبلهم من غير أن يلاحظوه .

ولما كانت روح التنقيب والاستقصاء وحب الاستطلاع غريزية وقوية جداً في الأطفال وجب تشجيعها فيهم وذلك بأن يترك لهم المجال للاعتماد على أنفسهم في حل ما يعترضهم من المسائل فلا يتمدى ما يقدمه إليهم كبارهم الإرشاد في كيفية استخدام عقولهم وتدريبها في العمل على كشف أسرار ما يصادفونه من المميات والصاب .

على هذه النظرية بنى التعليم الحديث . فالأمر الحديثة الراقية تدرب صغارها لتصبح عقولهم مرنة غير جامدة ، وعيونهم يقظة قوية للملاحظة ، وأذنانهم وقادة سريعة الاستنتاج فيستخلصون النتائج بدقة وإيمان ، فإذا التحق أحدهم بدإتمام دراسته بعمل ما أو بمعهد من معاهد البحث كان مدرّبا من يوم نشأته على الاعتماد على نفسه في معرفة ما يستلزمه عمله أو بحثه من الشروط غير مستعين برئيسه إلا للاستفادة رأيه والاسترشاد بخبرته في حل العضلات العويصة فالتعليم التلقيني وهو الذى يلحق فيه الطالب السلم من أفواه المدرسين وصفحات الكتب دون التدرب على الاعتماد على النفس وقوة الملاحظة والاستنتاج وما يتبعهما من تشييل الذهن ؛ هذا التعليم تيجته تخريج شبان شيق العقل جامدى الفكر قليل الاعتماد على أنفسهم في حل ما يصادفهم من العقبات ، فتراهم في عملهم حيارى لا يعرفون أين يتجهون فيكثرون من إلقاء الأسئلة على

رؤسائهم لمناسبة ولغير مناسبة ، وتجدهم ضعيفي الملاحظة والشاهدة سريى الاستنتاج الذى كثيراً ما يكون خطأ . وليس هذا لضعف طبيعى ، بل هو نتيجة لازمة للتعليم التلقيني وصرف عقولهم عن طريق التأمل والتفكير إلى طريق الحفظ . مثل هذا التعليم لا يلائم روح العصر الحاضر ولا يمكن بواسطته إخراج رجال يمكن البلاد الاعتماد عليهم في أعمالها ولا يكون لهم رأى محترم في دوائر البحث العلمية العالمية .

وقوة الملاحظة أو الفراسة سفة وراثية يصعب غرسها فيمن جرد منها . أما من انصف بها فهو أوفق الأشخاص لأعمال البحث ، إذ يمكنه تهذيب هذه الصفة في نفسه وتنميتها أن يتمكن من كشف غوامض الأشياء وحل رموزها بأبسط الطرق وأقربها مثالا . وهذا ليس بسهل لأن السواد الأعظم من الناس يحاول حل المشكلات بأصعب الطرق وأكثرها تعرجا فيخييون . ولا يفوز بسرعة الحل إلا الذى يتبع الطريق السهل الذى لبساطته ومسهولته لا يخطر إلا ببال النوابغ .

٣ - غزارة المادة العلمية

من أوجب الواجبات أن يكون الباحث واسع الاطلاع دائب الذاكرة في الكتب والمراجع لا يفوته علم قديم أو حديث ، وعليه أن يلم بشتى العلوم التى لها صلة بعمله ليستعين بها في حل معضلات أبحاثه وتحليل نتائجها . ولنضرب لذلك مثلا المشتغل في البحوث البيولوجية ، فواجبه إن أراد أن يكون من أعلامها أن يلم بأصول اللغات اللاتينية والإغريقية نظراً لاستعمال أصولها في وضع الأسماء العلمية . وعليه أن يجيد علاوة على لغته لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية للاستعانة بمراجعها في بحثه كما يجب أن يلم بالعلوم الرياضية وأن يعرف الفيزيكا العلمية والنواميس المتصلة بكافة ظواهر الحياة كالجذب السطحي والميوعة وما إليها . ويلم بالكيمياء وعلى الأخص كيمياء الأحياء . وإن تمدر عليه ذلك فليستمن بكيميائى وهذا ضعف .

والواجب على المشتغلين ببحوث أمراض النبات أن يلموا إلاماً تاماً بكيمياء المواد العضوية التى يتركب منها قسم النبات العائل وجسم الطفيل المسبب للمرض والذى يفرزها كلالها . مثل كيمياء النشويات ، والسكريات ، والخلووزات ، والبكتوزات ، والتينينات

بكررها عدة سنوات ليتأكد من ثبات نتائجها وصحتها ، لذلك يبدأ الباحث في بناء بحثه بكثرة المشاهدة وجمع البيانات على أساس احصائي لتتكون عنده فكرة عامة عن موضوع بحثه وتتجمع له المعلومات التي يستعين بها في وضع منهج تجاربه . وعند تنفيذ تجاربه تظهر له مشاهدات أخرى جديدة قد تدفعه إلى تعديل منهج تجاربه الأول . وهكذا كلما تكونت عنده فكرة جديدة وصادفته مشاهدات جديدة استعان على دحضها أو إثباتها بالتجارب حتى يصل في النهاية إلى الحقيقة الثابتة الناصعة المبنية على أساس علمي .

فالذي لا يأمن في نفسه القدرة على اتباع هذا الطريق في أبحاثه لا يصح أن يقوم بأي عمل من أعمال البحث . وانه لما يؤسف له أن العالم مليء بالكثير من أصحاب النظريات غير المؤيدة بتجارب عملية صحيحة . ورام يفرضون آراءهم على الناس وعلى من ولي أمورهم للأخذ بها فيجدون من يفتروا أقوالهم فيستمع إليهم ويعمل بإرشادهم فلا يظهر دجسهم إلا بعد أن تتكدب البلاد تفقات باهظة ؛ ناهيك بضائع الوقت وإفلات الفرص . وبلادنا تسج بأمثلة كثيرة من هؤلاء ، في كل مهنة وفن . والواجب على حديثي العهد بالبحوث العلمية أن يبدأوا على القيام بتجارب متنوعة كثيرة متواصلة واضعين نظرياتهم ونظريات غيرهم موضع الاختبار والدراسة ليستفيدوا ويزدادوا خبرة وعلماً .

ومن أهم أركان البحث قدرة الباحث على تفسير مشاهداته واستخلاص نتائج تجاربه . وهذا يستلزم القدرة على ربط النتائج بعضها ببعض للاستنتاج النهائي . وهذا يتطلب الدقة في الحكم وعدم التسرع فيه لأن الباحث إذا أراد أن تكون بحوثه مصدقة محترمة وجب عليه أن يتثبت من صحة نتائجه وصدق تعبيرها .

والواجب ألا يكتفي من يقوم بأعمال البحث بما حصل عليه غيره من النتائج بل عليه أن يعيد تجارب غيره حتى يحصل بنفسه على نتائج تؤيدها أو تنفيها . كما يجب عليه ألا يكتفي بنتائج تجارب قام بها أحد كبار الباحثين اعتماداً على شهرته . فكل عالم عرضة للخطأ والزلل كأي إنسان آخر . وكمن رجل وصل إلى الشهرة بالأعلان والدجل ودق الطبول ونفخ الأبواق وحرق البخور . وواجب البحوث أن يصدق كل شيء ليبنى على هذا الشيء تجاربه ؛ والا يصدق أي شيء حتى يحصل على نتائج تجاربه ؛ وإلا يعمته أي اعتبار مهما كان مقدساً عن البحث في طبيعة الأشياء .

والأحماض والالدهيدات وأحماض الأمينو والجلوكوسيدات والأزومات والزيوت الطيارة والاسترات وهم جرا . ومن رأى أكابر العلماء الحديثين في دراسة علم أمراض النباتات أن بحوث هذا العلم تتوقف في نجاحها على فهم كيمياء المائل والطفيل وما يطرأ في كليهما من التغيرات أثناء ارتباط حياة بعضهما ببعض . لذلك كان أغلب المتخصصين في البكتريولوجيا حاصلين على درجات في علم الكيمياء . وواجب الباحث في أمراض النباتات أن يكون متمكناً من علم الكيمياء غير العضوية لتساعده على البحث في المبيدات الفطرية ويتحتم عليه أن يحيط بأصول علم الأرصاد الجوية (التريولوجيا) وعلم الجيولوجيا وفيزيكا التربة لما لهذه العلوم من العلاقة التامة بحدوث الأمراض وانتشارها . كما يتحتم عليه الإلمام بعلوم الزولوجيا (علم الحيوان) والحشرات لأن كثيراً من الحيوانات والحشرات الدنيا تنقل الأمراض النباتية وتسببها كأن تحدث أوراما في جسم النبات تشبه الأورام الباثولوجية ، فمعرفة بالآفات الحشرية تساعده على أن تكون استنتاجاته صحيحة مجدية . وليس لعمل المشتغل ببحوث أمراض النباتات أية قيمة مطلقاً إن كان قاصر المعرفة بعلم النبات ؛ إذ كيف يمكنه دراسة المرض وتأثيره بدون أن يعرف تركيب النبات وتشريجه وتركيب أنسجته في حالة الصحة وما يطرأ عليها من التغير بسبب المرض وعلى وظائف النبات من الخلل بسبب البيئة ؟ لذلك كان لعلم الفسيولوجيا النباتية المنزلة الأولى في بحوث أمراض النباتات إذ لا يمكن للباحث أن يعرف أحوال النبات المريض إلا إذا كان ملماً بالكيفية التي يؤدي بها النبات السليم وظائفه . ومن أوجب الواجبات على الباحثين في أمراض النبات أن يتبحروا في المعلوم الزراعية على اختلافها ، وفي فلاحه البساتين بصفة خاصة .

ونظراً للتشابه الكبير بين الباثولوجيا النباتية والحيوانية كان من المستحسن أن يتصل المشتغلون بالبحث في هذين العلمين ببعضهم البعض زيادة في الاستفادة .

وما يقال عن الباحثين في العلوم البيولوجية يقال عن غيرهم من الذين يشتغلون بالبحث في مختلف العلوم .

٤ - الفرقة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخدام النتائج

لا بد للباحث عند وضع نظريته أن يثبتها بسلسلة من التجارب

٥ - الفرضة على ترويض النتائج وإعدادها للنشر

لما كانت الكتابة واسطة للتعبير وجب على الباحث إجادتها ليؤدي المعنى بأبسط عبارة . ولذلك ينبغي عليه أن يعرف آداب اللغة التي يكتب بها وقواعدها وأساليبها مع التسلع في مفرداتها ليسهل عليه التعبير عن نتائج بطريقت سليمة بسيطة سهلة لا يغلها القارى . فلا يستعمل كلمات لا معنى لها في موضوعه . إذ من أصول الكتابة العلمية أن تؤدي كل كلمة معناها الخاص بها اللازم للتعبير عن غرض الباحث . لذلك يجب عدم تكرار الألفاظ لغرض التعميق والتجميل لأن الغرض من الكتابة العلمية ذكر الحقائق من غير حشو وبأسلوب بعيد عن التجميل المستطاب في كتب الأدب .

والواجب على الباحث عند نشر بحثه باللغة العربية أن يراعى قواعدها والكتابة بأساليبها لتبلغ جملة غايتها من غير شطط ، وأن يرجع إلى لغة العرب لاتقاء ما يصلح من ألفاظها للمفطلحات العلمية الحديثة ؛ فإن عجز فلا غبار عليه من تعريب هذه المصطلحات بما يقبله الذوق أو من وضعها بحالتها وله قدوة في ذلك بمن سبقنا من علماء العرب الذين نقلوا كتب الأعاجم إلى العربية والخلاصة هي أن الباحث يجب أن يراعى في نشر بحثه القواعد الآتية : -

١ - أن تكون كتابته واضحة سهلة تؤدي لمن يقرأها المعنى المقصود .

٢ - أن يكون لكل كلمة وجلة يكتبها معنى يتصل اتصالاً وثيقاً ببعته .

٣ - أن تكون جملة صغيرة تحمل معنى كبيراً

٤ - أن تكون جملة منطقية الترتيب ترك من يقرأها مقتنعاً بصحة نتائج بحثه .

ولا حرج على الباحث من نشر ما ينتهي منه من فروع بحثه أولاً بأول ولا يمنعه ذلك من الإستمرار في بحثه حتى تم أدواره .

٦ - مسن عمود رؤساء البحوث برؤوسهم

يجب أن يكون الشرفون على البحوث بالنسبة لرؤوسهم كالقلب بالنسبة للجسم ينظم حركة عمله . فإذا كان القلب سليماً

انتظمت أعمال الجسم . ولذلك يجب أن تتوفر في رئيس البحوث شروط خاصة كسكران الذات والتضحية والتفاني في المحبة وحسن الخلق والعلم الفرير مع التواضع وحسن توزيع العمل . وأن يعمل على إيجاد الجو الصالح لإدارة البحوث من غير أن يتأثر الباحثون بمؤثرات خارجية تشغل بالهم وتقلق راحتهم فيصرفون عن بحوثهم بتعاطي أنفسهم . لذلك يجب عليه أن يعمل لتأمين مرؤوسيه على مستقبلهم فيضمن لهم العدالة في الترقية ومكافأة المجد على قدر ما يعود من الفائدة من نتائج بحثه

ويجب عليه إشراك مرؤوسيه في مسئولية العمل ليشعروا بقيمتهم في الهيئة الاجتماعية والعلمية ، بأنهم يؤدون عملهم أصحاب الفضل في إنجازها ، وألا يجعلهم يشعرون بأنهم آلات تعمل لمصلحته ورفقته فإن فعل ذلك فإنه يدل على ضعة في النفس لا يكسب منها سوى حقد مرؤوسيه عليه واحتقارهم له وإهمالهم في العمل ، بل وإلى الفشل الذي يسي إلى سعة المعهد خاصة والبلاد عامة . لذلك يجب على رئيس البحوث أن يكون لمرؤوسيه بمثابة الأستاذ للطلبة ، له فضل تدريبهم وتعليمهم وإرشادهم ، ولهم نتيجة دراساتهم وبحوثهم يحسون ثمارها فإنه ليس أدعى إلى بذل بذور الحقد والكراهية في مكامن النفوس بين الرئيس ومرؤوسيه من مسوؤهم بمحاولته غمط حقوقهم المكتسبة بكدهم وحسن عملهم . ومن دواعي نفخ الرئيس الماقل أن يرى مساعديه ينشأون بين يديه صفاراً كالأطفال ثم ينمون ويترعرعون بفضل نمهده لهم وعنايته بهم إلى أن يصبحوا رجالاً مسؤولين ذوي آراء عترمة وعمل نافع .

وعلى الرؤوسين واجبات مقدسة نحو رئيسهم ، فعليهم أن يعتبروه كالأب يدرون إليه باخطائهم فيجدونه واسع الصدر صادق الحكم والرأى ، حليماً في إرشادهم إلى الصواب ، ويجب عليهم أن لا ينسوا أنه صاحب الفضل في تمرينهم وتدريبهم إلى أن وصلوا إلى الحالة التي مكنتهم من الاستقلال بعملهم .

هذا هو دستور البحث وأصوله وقواعده إذا توفر في أمة ضمنت نجاحها ونأهلت مكاناً لاتقايين الأمم الراقية . فهل نحن عاملون به في نصر . هذا موضوع مستكلم عنه في فرصة قادمة إن شاء الله .
دكتور محمد مأمور عبد السلام

من أساليب التفكير التبرير الجدلي للأستاذ زكريا إبراهيم

—>>><<<—

« للكاتب الأمريكي جيمز هارفي روبنسون رسالة قيمة عرض فيها لأساليب التفكير المختلفة ، مبدئاً الدور الذي يؤديه كل في تكوين المفاهيم الإنسانية . ونحن نعرض في هذا المقال لواحد من تلك الأساليب محاولين أن نكشف عن الأصل فيه ، على ضوء علم النفس الحديث »

من أساليب التفكير المتنوعة أسلوب يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم « التبرير العقلي » أو الجدلي . والأصل في هذا الضرب من التفكير أن يعرض أحد المناقشة عقائداً وآراءنا ؛ فإننا عندئذ نعلم إلى تبرير هذه الآراء والمعتقدات بأدلة عقلية نصطنعها من أجل مواصلة الاعتقاد بتلك الآراء . وقد يحدث أحياناً أن نغير آراءنا وأفكارنا دون أن يكون ثمة مؤثر خارجي ، ولكن إذا حاول أحد أن يثبت لنا خطأنا ، فإننا نزداد تمسكاً بهذه الآراء التي ننادي بها ونعتمد في التعصب لها والتعلق بها . ونحن في العادة متسرعون في تكوين آرائنا ومعتقداتنا ، ولكننا نجد أنفسنا حريصين على هذه الآراء والمعتقدات ، حينما نحاول أحد أن ينتقص من قيمتها ، أو أن يشككنا في صحتها . ومن الواضح أن الأفكار نفسها ليست هي الشيء العزيز علينا ، وإنما هو تقديرنا لنواتنا وحرصنا على كرامتنا الشخصية . فإذا كنا نميل بطبيعتنا إلى أن نتمسك لشخصنا وأسرتنا ومعتقداتنا ، فما ذلك إلا لأن في هذا ذوقاً عن كرامتنا الشخصية . وقد تشتد الهجرات الموجهة إلى عقائدنا وأفكارنا ، فنضطر إلى التسليم ، ولكن بندراً نعرف بالهزيمة « فالسلم — في العالم العقلي على الأقل — يجي ، دائماً بغير نصر حاسم »

وقلنا يكلف الناس أنفسهم عناء البحث عن الأصل في معتقداتهم التي يحرمون عليها ويتمسكون بها ، فإن الحقيقة أننا ننفر بطبيعتنا من القيام بهذا العمل . . . إننا نحب أن نثبت على العقيدة التي اعتدنا أن نعلم بأنها هي الحق ؛ فإذا ما أثير حولها الشك ، رحنا نبحث هنا وهناك عن حجج مقولة تبرر مواصلتنا

التمسك بها ، ولهذا فابت الجانب الأكبر مما نطلق عليه اسم « الاستدلال » أو التفكير المنطقي ، ينحصر في البحث عن حجج وأدلة تبرر ثباتنا على المبادئ التي اعتدنا أن نعلم بصحتها

أما الأسباب « الحقيقية » لمعتقداتنا وآرائنا ، فهي في الحقيقة خافية عنا ، كما هي خافية عن غيرنا ، والذي يحدث في واقع الأمر هو أننا نشب على الآراء التي وجدنا مجتمعين يأخذ بها . ونحن تشرب هذه الآراء من البيئة التي نميش فيها عن طريق لا شعوري ؛ فالجماعة التي نحيا بين ظهرانيها هي التي تهمس في آذاننا دائماً أبدأ بهذه الآراء والمعتقدات . ولما كانت هذه الآراء أو الأحكام وليدة الإيماء (لا التفكير المنطقي) ، فإنها تبدو واضحة تمام الوضوح ، حتى أن أي ظلم من الشك يلقى حولها ، يثير في الناس الدهشة والاستغراب . والواقع أننا إذا حاولنا أن تناقش رأياً من الآراء فوجدنا أنفسنا بإزاء فكرة تبدو واضحة بينة حتى أن مجرد التعرض لمناقشتها يعتبر في نظر الناس عملاً غير مرغوب فيه ، فإن هذا الرأي لا بد أن يكون عبارة عن فكرة تتناقض مع العقل ، وبالتالي لا تستند إلى حقيقة ثابتة بينة .

أما الآراء التي هي وليدة الخبرة والتجربة ، أو التفكير الصائب الزهية ، فهي — على العكس من ذلك — لا تتصف بهذا « اليقين الأولي » Primary certitude . وفي هذا الضبط يروي روبنسون أنه حينما كان حدثاً صغيراً السن ، سمع جماعة من الناس يتناقشون في مسألة خلود النفس ، فاستناره الشك الذي أظهره بعضهم حول هذه الحقيقة . وهو يردف ذلك بقوله إنه حينما يعود اليوم يبصره إلى الورداء ، فإنه يرى بوضوح أنه لم يكن معنياً بذلك الموضوع في ذلك الحين ، بل أنه يقيناً لم يكن يعرف دليلاً واحداً صحيحاً يثبت به هذا المعتقد الذي يتمسك به . ولكن على الرغم من أنه لم يكن معنياً بالموضوع من قبل ، وعلى الرغم من أنه لم يكن له عهد بالبحث في مثل هذه المسائل ، فإنه مع ذلك لم يتردد في أن يظهر غضبه واستياءه حينما وجد آراءه ومعتقداته موضع البحث والمناقشة .

وهذا التأيد التلقائي spontaneous لآرائنا السابقة وأفكارنا البتيرة ؛ أو بعبارة أخرى هذا البحث عن الأدلة « المقولة » التي تبرر معتقداتنا المألوفة وآراءنا التقليدية ، هو ما يُعرف عند علماء النفس المحدثين باسم « التبرير الجدلي » rationalizing ؛ وهو بلا ريب ليس سوى اسم جديد لشيء قديم

المألوفة. وإنا لنعرف أن ملتون قد كتب مبحثه عن الطلاق نتيجة للمتاعب الكثيرة التي لاقاها بعد زواجه من تلك الفتاة التي كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً. وكذلك نعرف أيضاً أنه لم يكتب كتابه المشهور المعروف باسم : Areopagitica إلا حينما اتهم بأنه رائد مذهب جديد هو مذهب المُطْلَاقين ؛ فكتب كتابه هذا لكي يثبت أن من حقه أن يقول ما يعتقد أنه الصواب ؛ وبالتالي لكي يثبت حرية الصحافة والتأليف في إعلان الحق .

واليوم ، نتردد لدى بعض الكتاب والمفكرين فكرة مؤداها أنه من المحتمل أن تكون كل سائرنا التي حصلناها ، في علم الاجتماع ، أو في الاقتصاد السياسي ، أو في الأخلاق ، إبان الأجيال الماضية ، مجرد تبريرات عقلية قد يطرحها الجيل المقبل . وقد وصل الفكر الأمريكي جون ديوى بالفعل إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بالفلسفة ؛ واستطاع فيلن Vep'en وغيره من المؤلفين أن يكشفوا عما في الاقتصاد السياسي التقليدي من آراء مبتكرة واقتراضات غير مدركة . واليوم يأتي عالم اجتماعى إيطالى يدعى «فلفريدو باريتو» Vilfrido في كتاب ضخّم له عن الاجتماع العام ، فيكرّس مئات الصفحات ، لكي يثبت هذه القضية العامة فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية جميعاً . وهذه النتيجة التي توصل إليها ، قد تعتبر في نظر الأجيال المقبلة إحدى المكشفات العظمى لعصرنا الحديث . وليس بدعاً أن يكون ذلك كذلك ، فإن الحقيقة أنه كما كانت علوم الطبيعة المختلفة قبل بداية القرن السابع عشر مجرد ضروب مختلفة من التبريرات العقلية Rationalizations التي تتفق مع المعتقدات الدينية السائدة ، فكذلك العلوم الاجتماعية أيضاً قد بقيت — حتى إلى يومنا هذا — مجرد تبريرات عقلية تتفق مع الموائد والمقائد الثقبلة بغير نقد أو تمحيص .

من هذا كله يظهر لنا أنه إذا كنا بصدد فكرة قديمة يسلم بها الناس أجمعون ، فإن هذا لا يعكّر أن ينهض دليلاً على صحة هذه الفكرة ، بل هو — على العكس من ذلك — أدنى إلى أن يكون دليلاً على أنه من الواجب أن نفحص هذه الفكرة بعناية ، على أنها مثال محتمل للتبرير الجدلى .

زكريا إبراهيم

مدرس مدرسة السويس الثانوية

« مصر الجديدة »

جداً . وهذه الأدلة « المقولة » هي بطبيعة الحال وليدة التفضيل الشخصي والأحكام السابقة ، فهي إذن لا تمت بصلة إلى الرغبة الصادقة في البحث عن معرفه جديدة أو في التسليم بمحقاق جديدة وإذا نظرنا الآن إلى أحلام يقظتنا Reveries وجدنا أننا كثيراً ما نشغل أنفسنا فيها بتبرير ذواتنا . ومن الواضح أن السبب في ذلك هو أننا لا نستطيع أن نحتمل الشعور بأننا نخطئون على الرغم من أن الأدلة كلها قاعّة على ضعفنا وكثرة أخطائنا . وتبعاً لذلك فإننا نضع وقتاً كبيراً في البحث عن ظروف خارجية ترجع إليها أخطائنا مثل سوء الحظ وانعدام التوفيق وعدم مواتاة الظروف لنا ، ونجتهد في أن نستقط على الآخرين (وكثيراً ما يكون ذلك بمهارة فائقة) أسباب سقوطنا وخيبتنا . فالتبرير الجدلى إذن هو عبارة عن تبرئة النفس حينما يتهمتنا الناس (أو يتهمون جماعتنا) بالخطأ أو سوء الفهم .

وليس من شك في أن حينما لذواتنا ، إنما هو العامل الحقيقى الذى يكمن من وراء كل تبرير جدلى . فهذا الضمير الذى نعبّر عنه بحرف الياء (ي) هو في الحقيقة جوهر الحياة الإنسانية ؛ هو حرف صغير لا يضيره أن تلحقه بأى لفظ كائناً ما كان ، لأنه لا يفقد قيمته على أى حال ، يستوى في ذلك أن تقول بيتى ، عقيدتى ، بلادى ، إلهى ... إلخ . فنحن لا نقضب فقط حينما نخبرنا أحد بأن ساعتنا غير مضبوطة ، أو أن سيارتنا ليست جيدة ، وإنما نقضب أيضاً إذا قال لنا أحد إن نطقنا لاسم « أبكتاتوس » غير صحيح ، أو إن رأينا عن تاريخ سارجون الأول بعيد عن الصواب .

وهذا الشعور نفسه كثيراً ما نجده عند الفلاسفة والعلماء أنفسهم إذا كانوا بصدد مسألة يدخل فيها جهنم لذواتهم amour propre فإن كثيراً من المؤلفات الجدلية ، لم تكتب إلا لمواجهة خصومة أدبية — وعلى الرغم من أن بعض هذه المؤلفات قد ينطوى على استدلالات تبدو سليمة لا غبار عليها ، فإنه من المحتمل أن تكون هذه الاستدلالات مجرد تبريرات جدلية ترجع في نهاية الأمر إلى بواعث نفسية . وإذن فإن من الممكن أن يكتب تاريخ الفلسفة واللاهوت في عبارات الكبرياء المجرّوحة ، والخصومات المذهبية ، وضروب العداء المستحكمة بين الطوائف ويكون على هذه الصورة أصدى تعبيراً مما لو كتبت على الطريقة

التعليم ووحدة الأمة

- ٥ -

الأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

—>>>><<<<—

اليوم ما في المدرسة من جمود ونحود وما في تلاميذها من استهتار وقلة تبصر وعدم اهتمام بمسائل الحياة وعدم إقدام خريجها على العمل الحر المنتج فإنما يرجع الكثير من ذلك إلى خمود روح المعلم وجموده ، وإلى سيره في حياته التعليمية على طريقة أوتوماتيكية خالية من البحث والتفكير والابتكار . وله المذر في ذلك لأن الحالة القائمة بين جدران المدارس وفي تقدير كفايات المدرسين وأعمالهم لا تشجع مع الأسف على شيء من ذلك . فمعلم اليوم مكبل بقيود ونظم وتقاليده لا تسمح له بالتفكير في مستقبل تلاميذه إلا في دائرة محدودة جداً هي دائرة المنهج المقرر وعدم الخروج عنه لأي سبب من الأسباب ، والعمل على إنهاء دراسته في المدة المحددة له حتى يستطيع طلابه اجتياز الامتحان . وهذا هو كل ما هو مشغول عنه . فهو بذلك معذور حقاً إذا لم يحاول أي عمل أكثر من إلقائه الدرس المليء بالمعلومات التي لا تمت إلى الحياة بصلة في الغالب مكرراً على أسماع تلاميذه برغم أنوفهم تلك المعلومات التي لا تثير ميولهم ولا غرائزهم ولا تثيره في هوميل إلى البحث والتفكير؛ لأن ما ذكره في الأعوام الماضية يحى فيكرره في عامه الحاضر دون تنويع أو تحوير ما دامت الطريقة التي اتبناها من قبل قد أرضت القش والناظر وأدت إلى نجاح معظم تلاميذهم في الامتحان . هو معذور إذا لم يعمل عملاً ما لتحسين حال تلاميذه من الوجهتين الصحية والخلقية لأن المدرسة لا يعنيها ذلك . وهو معذور إذا لم يحاول أن يعرف تلاميذه شيئاً عن الحياة وما يحيط بهم منها وما يتعلق بها داخل المدرسة وخارجها ، لأنه إن فعل ذلك أجهد نفسه فيما لا يقدره أحد ولا يشجعه أحد ؛ ويحده نفسه قد أضاع جزءاً من الوقت الثمين المخصص لإنهاء المنهج الذي لا يقدر رؤساؤه غيره ، فلا بد له من ملء الأدمغة وحشوها بكل ما جاء فيه مهما كان نوعه ومهما كانت قيمته بالنسبة إلى ميول التلاميذ . وما عليه من بأس مادام قد خلق المنهج في أدمغة التلاميذ سواء أعرّفوا شيئاً عن الحياة بعد ذلك أم لم يعرفوا . ثم هو معذور إذا لم يعرف شيئاً عما يجري في مختلف البلاد المتحضرة من آراء حديثة وأفكار جديدة في التربية والتعليم لأنه لا يتابع قراءة شيء من ذلك . ولعل أكثر من تسعين في المائة من المعلمين لم يقرأوا شيئاً من مقالاتي هذه لما

يسرنا أن نشهد في هذه الأيام شيئاً من الاهتمام بمسائل التعليم وإصلاحه فقد رأينا نقاشاً يتردد بين بعض رجال التعليم في الجرائد والصحف الأسبوعية مما يدل على هذا الاهتمام وعلى أن وزارة المعارف ترحب بالآراء الجديدة التي تتناول المشاكل التعليمية وتعمل لإنماء روح البحث والاجتهاد في هذا الموضوع الجليل الشأن . غير أنني أرجو أن يتحول البحث إلى المسائل التي في الصميم والتي تتغلغل في روح المدرسة وروح النهضة التعليمية التي تنشدها البلاد .

فالبحت الذي دار فيه النقاش والجدل أخيراً كان خاصاً بزيادة مرحلة وسطى بين مرحلتى التعليم العام . والتعليم العام سواء اشتمل على مرحلتين أو ثلاث مراحل هو في حاجة ماسة إلى إصلاح أهم وأعم لا يتناول مرحله فحسب ، بل يتناول نظمه ويتناول روحه حتى نحصل منه على الثمار المرجوة . ولقد تناول سديقتنا الأستاذ فريد أبو حديد إحدى مسأله الهامة في العدد ٣٣٣ من الثقافة .

تناول مسألة المعلم قطاب وزارة المعارف إذا شاءت أن تعد البلاد للمستقبل الذي تنشده أم العالم جميعاً أن تتجه اتجاهاً جديداً إلى العلم ، وطالب الدولة كلها بأن تعين وزارة المعارف على ذلك وأن تحلها من كل قيد وأن تبذل لها من عنايتها ما يمكنها من أن تجعل المعلم روحاً حياً يبعث الحركة في ناشئة البلاد . وهذا مطلب لا نشك في أهميته ولا في عدائه ولا في ضرورته للنهضة التعليمية . ولقد سبق أن طالبنا الأمة به في مواقف كثيرة ، وسبق أن أوجعنا ما للمعلم من أثر فعال في تكوين أبنائه وفي بناء نهضة هذه البلاد ، وأنه هو العامل الحى الذى يبعث الحياة في النشء ويبصرهم بأمور الدنيا ويفتح عيونهم على ما يجري حولهم في الحياة . وهو القدوة الحية أمامهم بما كونه في أعمالهم ويتخذونه مثلاً أعلى لهم ويقلدونه في حركاتهم وسكناتهم ويلجأون إليه في معضلاتهم . وإذا كنا نشكو

يستشعرونه من رؤسائهم من عدم اهتمام أو عدم تقدير لكل تفكير جديد . ثم نحن محاطون بكثير من المدارس الأجنبية المنتشرة في البلاد التي تتبع طرقا في التعليم غير طريقتنا . فمن ياترى من رجالنا فكر في الاتصال بها ومعرفة شيء مما يجري بين جدرانها ! فالعلم السكين لا يفتح عينه إلا على تلاميذه ومنهجه ودرسه ! ثم هو معذور إذا لم يتعاون مع زملائه التعاون الضروري لرفع مستوى التعليم في معهده وتكوين الجماعات التعاونية بين طلابه ؛ لأنه مشغول بنفسه وبالذفاع عن قضية عيشه في أوساط تكلفه أكثر مما يطيق وتمنع حقه في الحياة ولا تقدر مسؤولياته فيها ؛ ولأنه مشغول بالكر والفر بين زملاء يتنافر الكثيرون منهم معه في الثقافة والتكوين ولا يتفقون معه في الآراء ولا ينجمون معه في الماططة والروح بطبيعة اختلاف ثقافتهم باختلاف المعاهد التي نشأوا فيها .

لذلك تكلف المعلم شططا إذا نحن طالبناه بالخروج عن جموده إلى العمل الجدى والهوض بتلاميذه ومعدريته ، لأنه مقيد بقيود تقف حجر عثرة في سبيله بعضها يرجع إلى البيئة المحيطة به وبعضها يرجع إلى التصرفات التي تجرى في محيطه التعليمي . فهو غالبا لم يدخل مهنة التعليم لحبه لها وشغفه بها كما يدخل غيره في باقي المهن . ومعنى ذلك أنه مسوق إلى العمل في مهنته رغم ميوله وإرادته . ولقد أثبت صحة هذا الرأي من زمن بعيد الخبير الفنى السيوكلايارد في تقريره عن حالة التعليم في مصر تحت عنوان « النزعة البيداغوجية » إذ لاحظ أنه من بين الـ ٦٩ طالبا بمدرسة المعلمين العليا الذين وجهت إليهم أسئلة عن سبب اختيارهم لمهنة التعليم لم يختار منهم هذه المهنة بدافع الميل غير ٣١ طالبا أى أقل من النصف ؛ وأن كثيرين منهم التحقوا بهذا المعهد لأن معاهد أخرى رفضت قبولهم . ومعنى ذلك أن عددا ليس بالقليل من المشتغلين فعلا بالمهنة البيداغوجية لا تتوفر فيهم النزعة الفرزية اليها . فإذا كانت هذه هي الحالة في مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٩ قبل إلغائها فإن الحالة لا زالت هي هي في معهد التربية الذى أنشئ على أنقاضها وفي دار العلوم وفي معاهد المعلمين والمعلمات التي امتلأت بالفتيان والفتيات لا رغبة في مهنة التعليم وحبا فيها بل رغبة في كسب العيش عن طريقها . ولذلك فإننا

لا نجد في خرجى هذه المعاهد من القاعين بأمر التعليم الآن إلا أناسا مسوقين بحكم وظائفهم مجبرين على العمل الذين يقومون به لا بحسين فيه . ويزيد نفورهم من المهنة ما يقاسون فيها من عناء وكد واجحاف بالحقوق بالنسبة لأقرانهم وزملائهم في المهن الأخرى . وما يقاسون فيها من تنافس وتنافر غير مشروع بينهم يظهر من آن لآن بسبب التراءات والثقافات المختلفة . ولذلك فإننا مقتنعون بأن الحجر الأساسى في بناء مهنة التعليم في مصر ينحصر في تشويق الشباب إلى المهنة وتحبيبهم فيها بما يجب أن يوجد فيها من مغريات ومشجعات لا أثر لها فيها اليوم ، كما ينحصر في العمل الجدى على توحيد ثقافات المعلمين بضم معاهدهم المتناثرة المتناحرة بعضها إلى بعض في معهد واحد ليكون الجميع يدا واحدة متناصرين متعاونين متجهين جميعا الاتجاه الصحيح في تفكيرهم وبحوثهم وعملهم في سبيل وحدة الأمة المنشودة . وإنه لن يتم للبلاد ما ينادى به الزعيم الوطنى الكبير على ماهر باشا في أن يتحد أبناءها اتحاداً شاملاً حراً وأن يكون هذا الاتحاد اتحاداً في القرية واتحاداً في الإقليم واتحاداً في عاصمة البلاد كما ذكر رفعتة في حديثه لمراسل جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٥ ؛ أقول لن تتم لنا تلك الوحدة العزيزة المنشودة إلا إذا وضعنا أساسها بين معاهد تخرج المعلمين من اليوم ليكون المعلمون على صر الزمان دعاة تلك الوحدة وأنصارها والقابضين على زمامها في القرية والمدينة والعاصمة . ولتكون المدرسة نواة الإصلاح الحق في بناء تلك الوحدة وتدعيمها كما هو الحال عند غيرنا من الأمم التي سبقتنا في مضمار الحياة الحرة الكريمة . وإنا لنفتبط كل الاعتباط بما جاء في سياق حديث رفعتة المتح من حماس للوحدة القومية إذ قال : « وما دام الحق واحدا لا يتعدد فالوحدة القومية التي فيها إنقاذ شرف الأمة يجب أن تكتسح كل من يقف في سبيلها » .

لهذا نأمل أن يعمل العاملون في بناء هذه الوحدة فوراً على وضع أساسها وتدعيم جدرانها بتوحيد معاهد المعلمين وتوحيد ثقافتهم حتى يبنى البناء الشامخ على أساس وطيء سليم لا ترعزع الواسف بل لا تزيد إلا تماسكا وقوة وعزة ورفعة .

عبد الحميد فهمى مطر



٥ - الفن

المطاب الفرنسي بول هيرزيل
بقلم الدكتور محمد بهجت

الحركة في الفن

يوجد بمتحف اللوفر تماثلان لرودان يتنازعاني ويؤثران في بوجه خاص، هما: «العصر الحديدي» و«يوحنا المعمدان». ويخيل إلي أنهما أكثر حياة من غيرهما — إذا صح هذا التعبير. حقيقة أن كل تماثيل «رودان» الأخرى تنبض بالحياة، وتنفس ويحس منها ما يحس من اللحم الحقيقي إلا أن هذين التماثلين يتحركان!

كشفت رودان بولي الخاص بهذين التماثلين ذات يوم وأنا جالس بممرحه يمدون فما كان منه إلا أن أجابني:

إنهما حقاً من تلك التماثيل التي أبرزت فيها الفن التقليدي إلى أبعد حدوده، مع أني صنعت غيرهما كثيراً مما لا يقل عنهما حركة وحياة، أذكر منها على سبيل المثال «رهائن كالية» و«بلزاك» و«الرجل الذي يمشي». وحتى في أشغالي التي لا يظهر عليها النشاط حرصت دائماً على أن أطبعها بطابع الحركة. ولم أصنع قطعاً وادعة ساكنة إلا فيما ندر. ولقد حاولت دائماً أن أعبر عن الأحاسيس الداخلية بحركات العضلات. وهذا صحيح حتى في تماثلي النصفية التي أجعلها تميل أو تنحرف انحرافاً خاصاً أو تأخذ وضعا معينا يجعلها تم عن خلجة من خلجات النفس. لا يمكن الفن أن يمشي بغير حياة. فإذا ما أراد مثال أن يعبر عن السرور أو الحزن مثلاً أو عن أية عاطفة كانت فإنه لا يستطيع تحريك مشاعرنا من غير أن يعلم يادى ذي بدء كيف يث الحياة فيما يسوى من الأجسام. وإلا فكيف يؤثر فينا السرور أو الحزن الراسم على شيء جامد كقطعة من الصخر الأصم مثلاً؟

ويمكننا الحصول على نماذج الحياة في أعمالنا عن طريق التمثيل الجيد والحركة. هاتان الصفتان هما بمثابة الدم والروح لكل عمل جيد. وهنا قلت له:

أيها المعلم! لقد حدثني عن التمثيل فأصبحت قادراً على تذوق روائع الفن أكثر من ذي قبل، فأسمح لي الآن أن أوجه إليك بعض أسئلة عن الحركة التي أراها لا تقل أهمية عنه. عندما أحقق في تماثل انسمى «العصر الحديدي» الذي ينهض وعلاً رثيه هواء ويرفع ذراعيه عالياً، أو في تماثل «يوحنا المعمدان» الذي يخيل إلي الرائي أنه يهيم بغفارة قاعدته التي يقف عليها ويضرب في أنحاء الأرض مبتوراً برسائله بكلمات من الهدى، يعروني مزيج من الإعجاب والدهش. ويخيل إلي أن هناك سحراً في ذلك الفن الذي يهب مادة الشبه حركته. ولقد درست روائع أخرى لأسلافك العظماء أذكر منها تماثل المارشال (ناي) «Ney» والمارسلير، وكلاهما من عمل (رود) «Rude» ثم الرقص من عمل (كاربو) «Carpcaux» وكذلك حيوانات (باري) «Barye» الوحشية الكثيرة، ولا يسعني إلا الاعتراف بأن ما وجدت إلى اليوم تفسيراً مقنعاً للتأثير العميق التي تودعه تلك التماثيل في نفسي. وما زلت أسألك كيف يمكن أن تؤثر فينا كتل صماء من الحجارة أو الحديد؟ وكيف تبدو بعض التماثيل كأنها تعمي، بل وكأنها في حركة عنيفة بينما هي في الواقع ساكنة لا حراك فيها؟

فأجابني رودان: «أما وقد جعلتني في عداد السحرة فسأحاول جهدي أن أحمي سمعتي، وذلك بأن أقوم بواجب هو أصعب بكثير من نفخ الحياة في الشبه أو الحجر، ألا وهو أن أشرح لك كيف يتسنى ذلك لاحظ أولاً أن الحركة هي الانتقال من وضع معين إلى وضع آخر. والحق يقال إن هذا التعريف الذي يكتفه الصديق هو مفتاح السر. ولا ريب أنك قرأت في أوفيد كيف استعالت (دافني) «Daphne» إلى شجرة القار، و (بروني) Prongne إلى عصفور السنونو. يرينا هذا الأديب الساخر أن الأولى اتخذت من قشور الأعواد ومن الأوراق غطاءً بينما ادثرت الأخرى بالريش حتى نستطيع أن نرى في كل منهما المرأة التي استعالت والشجرة أو الطير التي سوف تنقلب إليهما. وأظنك تذكر أيضاً أن دافني يصور لنا في جحيمه حية تلتف حول جسد أحد الملاحين فتقلب رجلاً، وينقلب الرجل بدوره حية تسمى. يصف لنا الشاعر العظيم هذا النظر بجلاء تام وعبقريّة فذة بحيث يستطيع المرء أن يتابع في كل من هذين المخلوقين الصراع الدائم بين طبقتين تصطرعان لتسود إحداهما الأخرى.

هنية.. وأما اليد اليسرى فتثبت في الهواء ممسكة بالنمذ كأنها ما زالت تقدم النمد .

ولندرس الجسم الآن؛ كان يجب أن يكون مائلا قليلا إلى اليسار في اللحظة التي أتى فيها بالحركة التي وصفت آنفا . ولكنه هنا منتصب ، والصدر بارز إلى الأمام ، والرأس يدور نحو الجنود وقد دوى منه الأمر بالهجوم . وأخيرا ترى الذراع اليمنى مرتفعة وقد شرعت الحسام . فما أنت ترى في كل ذلك إثباتا لما قلته لك آنفا . فما الحركة في هذا التمثال إلا تغيير من وضع أول — هو الذي كان عليه المارشال عندما ما استل سيفه — إلى وضع ثانوى هو عند ما رفع ذراعه وشرع في الاندفاع صوب العدو ... وفي هذا كل السر في الحركة كما يفرها الفن . فعلى الممثل إذا أن يلزم المشاهد بتتبع تطورات حركة ما في فرد معين . ونرى في التمثال الذى استشهدنا به أن العينين تلزمان التنقل من الأطراف السفلى إلى العليا حتى الذراع المرفوعة ، فترى أنشاء ذلك التنقل أجزاء الجسم ممثلة في فترات متتابعة رتوهمان بأن الحركة تمت .

وقد اتفق وجود صديقتين^(١) لثمالى « المصر الحديدي » « ويوحنا الممدان » في البهو الكبير حيث كنا ، فألتى رودان أن أنظر إليهما ففعلت ، وأدركت صدق قوله للترو واللحظة . لاحظت في التمثال الأول أن الحركة تصاعدية كما في تمثال ناي . فالشاب غير كامل النهضة ، فساقاه متخاذلتان ، تميدان من تحته ، فاذا ما صعدت عيناك فيه قليلا وجدت الوقفة أصلب ، والأضالع بارزة من تحت الجلد ، والصدر يتمدد وينهد ، والوجه يواجه السماء ، والذراعين ممدودتين كمن يحاول أن ينضى عنه حوله . أما موضوع هذا التمثال فيلخص في التخلص من حالة الركود والحدود إلى حالة النشاط في الإنسان الذى يتحضر للعمل .

وفضلا عن ذلك فإن تلك الحركة البطيئة التى تدل على الاستيقاظ والنهوض لتظهر أروع مما هى عليه عندما يدرك المرء منزاه . فعلى التمثال — كما يدل على ذلك اسم القطعة — أول خفقة من الإدراك والتمييز في إنسانية لا زالت في مدارجها الأولى وأول

(١) اخترت كلمة صبية للفظة الانجليزية Cast وهى ما يصب و قال على نحو النيكى للمدن النوب الذى يفرغ في قال .

وقصارى القول يمكن النصور أو التمثال يمثل هذا الضرب من التطور والتبدل أن يهب المتفرقات التى يتكرها الحركة والحياة بأن يمثل التحول من وضع إلى آخر ، ويظهر كيف يتصل الأول بالثاني ويمضى فيه بشكل غير محسوس ... ويجب أن نرى في عمله بعضا مما وقع أو مما كان ، ونستبين طرفا مما سيكون . ولأضرب مثلا يوضح لك الأمر أكثر من ذلك :

« لقد ذكرت منذ هنية تمثال المارشال ناي الذى سمعته رود فهل تستوعبه بوضوح ؟ » فأجبت :

« نعم » إن البطل يشمر سيفه ويصيح في جنوده بأعلى صوته : إلى الأمام .



تمثال المارشال ناي — (صنع الممثل رود)

« تمام ! حسن ! عند ما تمر بهذا التمثال مرة أخرى تأمله بدقة أوفى فتلاحظ إذ ذاك أن رجلى التمثال واليد اليسرى التى تقبض على غمد الحسام تثبت على الحالة التى كانت عليها عندما استل السيف من قرايه . أما الرجل اليسرى فقد انسحبت قليلا إلى الوراء لكي يسهل إمساك السيف باليد اليمنى التى استلته منذ

انتصار للعقل على وحشية المصور السابقة للتاريخ .

— « لاحظت أنها ثابتة في أماكنها لا تتقدم ، وتبدو على العموم كأنها ترتكز على ساق واحدة ، في غير ماحراك ، أو أنها تعجل على قدم واحدة » .

— تمام ! ولأضرب لك الآن مثلاً تمثال (يوحنا المعمدان) ، الذي ترى قدميه مرتكزتين على الأرض . فإذا ما أخذت صورة فوتوغرافية لثال حتى يمشي مشيته فلربما ظهرت قدمه الخلفية مرتفعة تلاحق القدم الأخرى ؛ أو على النقيض من ذلك قد لا تكون القدم الأمامية على الأرض إذا ما شغلت الرجل الخلفية في الصورة الفوتوغرافية نفس الوضع الذي تشغله من التمثال .

ولهذا السبب عينه قد يبدو مظهر هذا التمثال الفوتوغرافي غريباً كما لو كان رجلاً فاجأه الفالج وتجمد في موضعه ، كما وقع في القصة الحرافية البديعة لخدام « الجبال النائم » الذين مسخروا في مكانهم على حالهم التي كانوا عليها . وهذا أيضاً يدعم ما شرحت لك من هنية بخصوص الحركة في الفن . وفي الواقع أنه إذا ظهرت الأشخاص في الصور الفوتوغرافية كأنها مشتهة في الهواء مع أنها أخذت وهي في حالة الحركة فذلك إلا لأن جميع أجزائها صوّرت في فترة زمنية واحدة هي جزء من عشرين أو أربعين من الثانية فلا يوجد في هذه الحال تدرج في الحركة كما هو الحال في الفن » .

قلت :

— « اني أفهمك تمام الفهم يا أستاذ : ولكن أرجو أن تسمح لي بأن أقرر أنك تناقض نفسك » .
— « وكيف ذلك ؟ »
— « ألم تصرح لي أكثر من مرة بأنه يجب على الفنان أن يسخ الطبيعة بكل اخلاص ؟ »

— « لا ريب في ذلك . ولا أزال أتمسك به . »
— « حسن ! إذن إنه عند ما يفسر الحركة فيناقض بتفسيره الآلة الفوتوغرافية تمام المناقضة — والفوتوغرافية دليل آلي دامغ لا يرقى إليه الشك — فانه بذلك يغير من الحقائق . »

— « كلا . ان الفنان هو الصادق ، والآلة الفوتوغرافية هي الكاذبة ؛ لأن الزمن لا يقف كما هو ثابت مقرر . وإذا نجح الفنان في اظهار تعبير حركة تستغرق عدة لحظات حتى تتم فإن عمله يكون بلا ريب أقل تكلفاً من الطيف العلمى « الفوتوغرافية » حيث اقتضب فيه الوقت اقتضاباً مفاجئاً .

دكتور محمد بهجت

(له بقية)



ثم درست بمد ذلك تمثال يوحنا المعمدان على الوتيرة السابقة ، فرأيت أن انجم هذا الجسم أدى إلى تطور من حالة إلى حالة أخرى كما قال رودان . فأولا يتكى الجسم بكل ثقله على القدم اليسرى التي تضغط على الأرض بكل قوتها . ويبدو كأنه يتذبذب في ذلك الوضع هنية بينما تنظر العينان

صوب اليمين . وبعد تمثال يوحنا المعمدان — (صنع رودان)

ذلك ترى الجسم كله يتجه في هذا الاتجاه ثم تخطو الرجل اليميني وترتكز قدمها على الأرض . وفي تلك اللحظة يظهر الكتف الأيسر المرتفع كما لو كان يلقى بثقل الجسم إلى هذا الوضع الجديد كما يمين القدم اليسرى الخلفية على الخط إلى الأمام . والآن ، لم يخرج علم الفنان عن أنه يضع تلك الحقائق نصب عين الرأي على النحو الذي ذكرته حتى يكون من تماقها وتتابعها ما يشعر بالحركة .

وفضلاً عن هذا أيضاً فإن لحركة « يوحنا المعمدان » دلالة روحية ، كذلك التي لتمثال « العصر الحديدي » . فالنبي يتحرك حركة آلية كلها جلال ووفار حتى لتوهم أنك تسمع وقع أقدامه مثلما توهم ذلك عند ما تشاهد تمثال « القائد » تحس منه كأن قوة خفية كامنة تهيمن عليه وتسيره . وعلى هذا نرى أنه بينما تبدو لنا حركة الشيء عادية صرفة نراها هنا جليلة لأنها في سبيل رسالة مقدسة . وهنا سألتى رودان فجأة :

— « هل سبق لك أن عاينت بامعان صورة فوتوغرافية لأشخاص تمشي ؟ » . ولما أجبت بالايجاب قال « حسن . ماذا لاحظت عليها » .

فرنسا الجريحة

[لنسية الحوادث الأسيرة في
انظرين النفس سورة: ولنا] .

الاستاذ ادوار دنا سمر

فرنسا الجريحة لا تجرحى فإن شقاءك لم يرح
وإن كان فيك دماء شريف فوسى خرابك أو أملحى
عجب لعمري بطش الجريح بيت الموالين والنفسح
فنبكى ونضحك من حققة ونرى له ساحة المذبح !

جناحك في النرب ملقى به ونابك في الشرق ... في قلبه
فررت إليه من النابحين فهل كان غوثك من ذنبه ؟
فيا للطريدة قد ضمها كريمٌ خففت إلى حربه
لئن كنت أخطأت في بغيضنا لقد أخطأ الشرق في حبه

أهذى بواكير عهد السلام جيوش تساق وشعب بضام
فيا سواة للمهود العذاب ويا ضلة للأمانى الضخام
وهل تحلّ العالم المستثار سين اللظى والدما والظلام ..
... لستهرتين بحق الشعوب ومؤتمر غارق في الكلام ؟

وأيّن التساوى وأين الإخاء ؟ رياء ... تنصل منيه الرياء
تراث الجمدود فهل صنته وقد خطه دمهم والدماء
ولو تنطق اليوم أشلاؤهم لثارت على مشبهى الأقوياء
هويت بمجدي ولوثته ومنبعه من كروم السماء

ثرى الحرب

الاستاذ محمد برهام

أراه فأذكر الحظ السعيدا وأطرق إذ أرى حظى بليدا
لعمري فهم الحياة فجاء حتى أقام لنفسه ملكا وطيدا
إذا عبث له الأقدار (يص) فقد ضحكت له الأقدار (سودا)
ترى الحرب إن الناس حرب عليك لجمك المال المديدا
وأوليك المذبح ولا أبالي إذا ما صرت في مدحى فريدا

وحدود طالم لا خبر فيه وأحراك أن نسي الوجودا
أنس المرء في ديباء مالا يقاس به هبوطاً أو صعودا
تحدث بالثراء ولو كذابا تجدك عدوت إنساناً مجيدا
وقالوا جاهل قلنا سيفدو على الأيام أبلقنا قصيدا
وقالوا بجده مجد طريف فقلت المجد لم يخلق تليدا
صفات سوف تنساها الليالي وثروته تحمله خلودا
لعمرك كم نوجد أثراء فنطريهم ونلبسهم عقودا
وكانوا لا تسلى كيف كانوا وخلي المال صيتهم بعيدا
إذا قتشت عن أسباب مجد فلا نس الدرامم والنقودا
لماذا لا أكون ترى حرب فألبس خاتماً وأزين جيداً
وقل ما شئت في ذى فغندي سواء أنت تدم وأن تشيدا
أنبيل شاعر قد وظفوه فلاقى في وظيفته الجحودا
بلا حول ، فإن طلب الترقى أقاموا دونه (كدرأ) حديدا
منيع ، تتبع النظرات فيه فنلقى كل أحرفه قيودا
نظل سنين محب - كي نملى (جنبا) وا تفاهة ما أريدا
علاوات كدود البطن تردى فسموها (الوحيدة) والوحيدا
إلحى طال لاملد انتظاري ولا أمل لدى أرى الفقيدا
فمن ذا يشتري علمى وشعرى ويبدلنى بهم جهلا مفيدا
هنتا يا ترى الحرب مال ضمنت يجمعه العيش الرغيدا
فمن من نور جهلك في رخاء ودع لى الفقر والخلق الخيدا

أشواق ...

للشاعر مصطفى عبد الرحمن

أيها الناعم في ملك الكرى بين أحلام الأمانى الباسحات
من على بالك يهفو يا ترى عندما تذكر ما مر وفات
لا رأيت عينك يوماً ما أرى وأقلى من لبيب الذكريات
حينما يعرضها الماضي لعيني
صوراً تجلو الذى أفلت منى
من ليال بهوانا راقصات

ولقد أرسل الأستاذ المهدي إليه رسالة رقيقة إلى السيد المهدي نرسل إليكم صورتها لتنشروها في مجلتكم الغراء ، وهذا بصيها بعد الدعاية :

« تحيات الإجلال إلى مقام السيد الكريم ، وقد تلقيت هديته الفاخرة فتلقيت كثرًا نعيمًا بكل معنى من معانيها ، وكل إشارة من إشاراتها ، وهي كثيرة المعاني والإشارات

وحسبي منها أنها عنوان الرضوان من أمثالكم ذوى الفضل والعلم ، ورضوانهم مفخرة لكل من يحمل القلم في خدمة الحق والعرفه ، وأنها قداسة تقترن بوحى الله وتردان باسمه جل وعلا وأسماء نبيه الكريم وصفوة آله الأبرار وأنها مع هذا وذلك آية رائعة من آيات الصنع المونق المعجب والفن المحكم الجميل ، ولست أوفيهما الشكر عن بعض هذه المعاني فكيف أوفيهما الشكر عليهن مجتمعات ؟

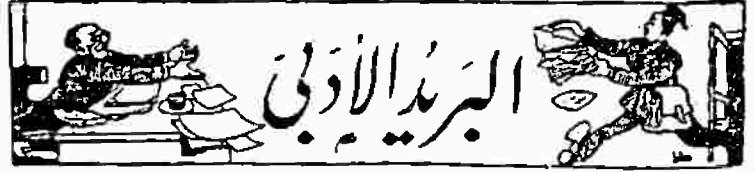
غاية رجائي أنى استحققتها من كرمكم بكتابتى عن (أبي الشهداء) فمضى أن أوفيهما شكرها بالفضى في هذا النهج القويم والمثابرة على خدمة الفضيلة والإيمان . ونملئ أسعد بركة يشكركم فيها اللسان مع هذا الشكر القاصر من البراع . ولكم منى أسنى التحية والسلام والإجلال »

الجلس

عباسي محمود العقاد

من سنار أريب إلى مؤلف أوب

عزيزى الأستاذ الكبير كامل كيلانى بك
إلى — منذ تفضلت فأهديت إلى تحفتيك الأخيرتين —
أنفياً ظلال حديقة أبي العلاء ، أنعم بوارف هذا الظل وأمتع ناظرى
بجمال تنسيقها ووشى أزهارها وأجتنى ثمارها وأتذوق عذب نعيمها ،
وأهناً برسالة الهناء وما حوت من طريف اللغة ودقيق المعاني وما
كشفت من نواحي الحياة الرضاءة حيناً والمظلمة أحياناً ، وأعجب
من هذه القدرة التى جباك الله بها فبشرت المسير ، وذلت الصعب
المتع ، وسقت لنا فلسفة أبي العلاء وأدب أبي العلاء وخيال
أبي العلاء الشعرى الرائع فى أسلوب جزل حلو جذاب وثاب ينفذ
إلى القلوب فيهب مشاعر النفس وجوانب الحس . وقد عقدت



تقرير فقيم لكتاب فقيم

أرسل إلينا الأستاذ زار الحلى من كربلاء كتاباً يقول فيه :
« أهدى السيد محمد حسن آل ضياء الدين حادان الروضة
المباسة بكربلاء هدية نفيسة إلى الأستاذ عباس محمود العقاد تتألف
من مصحف أثرى ، وسجادة فاخرة ، وقطعة من الذهب المصعب
تمثل خرّيج الحسين عليه السلام ، وذلك بمناسبة تأليفه كتابه
(أبو الشهداء) واعترافاً بإجادته فى هذا الموضوع . وتقدر هذه
الهدية بألف جنيه علاوة على قيمتها الأثرية .

حمل الصبح إلى الكون نشيدى رائع الرحمن شجى النفحات
كالنّى تحفّق كالحلم السعيد كرضانا كابتناسم الزهرات
يبد أن لا أبالى بالوجود ذاع لحنى فيه أم ضاع ومات
إن يكن قلبك لا يسمع لحنى
فلن يا فتية الروح أغنى

للهم لحن الليل الحالدات

آه لو تسمنى أشكو الجوى يا حبيبى ... آه لو تسمنى
وترى القلب ونيران الهوى ولظاها بات يرى بدنى
لترقت وحطمت النوى وانطوى سهدى وولى حرزى
أين أحلام شبابى ، أين منى
أمسيات من فتون وتمنى

وعيون الدهر عنا غافلات

يا حبيبى أيقظ الماضى شجونى حينما طافت رؤاه فى خيالى
وتلفت بيمنى ليقينى فإذا الحاضر كالليل خيالى
وإذا بى قد خلت منك يمنى وانطوى ما كان من صفو الليل
طال بى شوقى لأيام التنفى
وليال من بعضى غاب عنى

هانها لى يا حبيب الروح هات

النهضة أو أدب بارناس أو الأدب الروائي أو أدب بلزاك أو فيكتور هوجو .

وبالإجمال ستكون مهمة هذه الإدارة اختيار ما أخرجه الأدب الفرنسى مهما يكن مصدره وأبعاده وصيانه من البعث .

هيكل باشا مع المؤرخين

قرأت ما كتب فى « الرسالة » حول اسم كتاب الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) فأرسلت بهذه الكلمة استدراكاً على ذلك !

قال المؤرخ الصفى فى (الوافى بالوفيات) : قد عرفت العلم والكنية واللقب ، فسردها يكون على الترتيب : يقدم اللقب على الكنية ، والكنية على العلم ، ثم بالنسبة إلى البلد ، ثم إلى الأصل ، ثم إلى المذهب فى الفروع ، ثم إلى المذهب فى الاعتقاد ، ثم إلى العلم والصناعة . والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والإمرة والمشيخة والحج والحرفة كلها تقدم على الجميع ، يقال فى الخليفة : أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامرى البغدادى الهاشمى القرشى العباسى الشافعى الأشعرى . ويقال فى أسياف العلم العلامة أو الحافظ أو السند — فبين عمر واكثر الرواية — أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه ، ويورد الباقي إلى أن يتم الجميع بالأصولى ، والنطق أو النحوى . انتهى . هذا مصطلح المؤرخين . وهيكل باشا منهم .

أحمد سامى الفرنسى

دمشق

تصحيح آية

جاء فى مقال الأستاذ السبكى أثناء نقده لكتاب التصوير الفنى فى القرآن أن الله سبحانه وتعالى قال فى وصف سيدنا يوسف إنه كان من عبادنا المخلصين . ومع أن الأستاذ الناقد أخذ على المؤلف إهمال تحرير الآيات فإنه وقع فى نفس المؤاخذة بأن زاد كلمة (كان) على كلام الله تعالى . فنرجو تصحيح ذلك .

عبد المولى النجار

الموازنة الطريفة بين حديقة أبى العلاء كما نسقها بناتك ورواها يمانك ، وبين غابة أبى العلاء بوحشيتها المحببة وروعها الموطاة . فلك منى الشكر على كريم حديثك ، والتهنئة على عظيم توفيقك . ولا عجب فاضيك فى الأدب يحمل أكبر الدلالة على حاضر موفق ومستقبل أكثر توفيقاً بإذن الله . فإله يكافئك على ما قدمته للعرية من روائع أدب تصيف إلى كنوزها كنوزاً وتحمل رسالة السلف إلى الخلف فى سر وجمال وإغراء . والله يمجريك جزاء العاملين الصالحين .

الخلاص

محمد السماوى

المستشار الملكى

إدارة للأدب فى فرنسا

أنشئت فى العهد الأخير فى وزارة المعارف العمومية الفرنسية إدارة للأدب عهد إليها بالإشراف على كل ما يختص بالدفاع عن الأدب الفرنسى والكتاب الفرنسيين المأذنين والحاضرين والذين يظهرُونَ فى المستقبل وإبرازها .

وستقدم هذه الإدارة المساعدات المالية لطبع المؤلفات العلمية التى يضمها كبار الكتاب المصريين ، أو تقديم أداة العمل كالمعجم . وستعنى أيضاً بإصدار الكتب الفرنسية إلى الخارج . وقد شرعت فى وضع مرشد فرنسا الأدبى ليستبين به الأجانب .

وستحقق هذه الإدارة أمنية جورج دو هاميل بإنشاء « صندوق وطنى للأدب » بحيث يمكن توزيع المساعدات اللازمة للعمل فتذهب عن كل من يمنحونها الشاغل المادية مدة عام أو عامين . وستكون هذه المساعدات شبيهة بجائزة روما للرسامين والموسيقين والحفارين ، ويمكن أن تمنح للشبان من الشعراء والروائيين والفلاسفة والمؤرخين وغيرهم .

وستولى إدارة الأدب صيانة عقيدة الكتاب ، وحماية منازل الكتاب المتوفين من الإهمال أو التدمير .

وستعنى بتنفيذ بعض المشروعات مثل متحف الأدب الذى يمثل منظراً واسع النطاق لنشاط الإنسان ، أو لحركة عهد من العهود ، أو تطور حركة من حركات الأدب ، فيمثل للجمهور مثلاً أدب



التعليم في رأى القابسي للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني ، نشر
مكتبة الحانجي بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة في التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضى من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور في الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهواني هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأى ، فبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاضة ونقد قوى لا يستحق النقد من آراء القابسي وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم في رأى القابسي وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسي التى بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولاً بعرض حياة القابسي وبيان منهجه في رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يمتدنون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعياً فيما عرض من آراء في التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخاً أيضاً ؛ فعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردها إلى أصولها التاريخية وتبصيح تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٩) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسي وإن كان واقعياً في آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثالياً فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان حياً وإزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رآه الأمم في هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن المكتاتيب في الإسلام ، وإلى البواث التى جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الفرض من التعليم فى رأى القابسي ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخى عن التعليم فى فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً فى نقده للقابسي فى منهجه وفى بعض آرائه التى قررها وفى نقده لبعض الذين كتبوا فى التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً فى ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسي فى منهجه الذى يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح فى التربية لما يدعو إليه من حمود وحجر على الرأى ، وبخاصة والأمراً يرتضن أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً فى أنه أهمل فى الآراء التى أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية فى عصر القابسي ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله فى الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كلقابسي والثالين كابن عبد البر والنزالي وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكتاتين — ومنهم الدكتور خليل طوطيح فى كتاب التربية عند العرب — فى اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادى فو » المستشرق الفرنسى المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهواني بحق ؛ فقد زعم فى كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامى ليس فيه الذوق

مرآيا الناس (*)
للأستاذ حبيب الزحلاوي

السيدة وداد سكاكيني ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً في الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسنت بالجهد الذي أنفقته والعناية التي بذلتها في صقل جملها لتكون على أجل وأكمل ما يترأى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها في نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد الرحومة الآتية « م » بين كاتبات العربية في هذا العصر . بل هي ميزة تمتاز بها على قريباتها خصوصاً في معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه البيدة الفاضلة ما كتبت في مسهل حياتها من قصص في كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارئ هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكتاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه في هذه المجموعة أنها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألس الحقيقة إذا قالت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة في كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأسمها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحان ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفت هذه المجموعة من القصص نجاة ضيقة الحدود ، متفرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو سير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ، وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع في ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

القطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهواى أن هذا المشرق لو عرف رسالة القابسي لغير هذا رأى الخاطئ ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .. هذه الرسالة التى - كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث - وضع بها القابسي مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعلم الإلزامى وتعلم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن
يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشر إلى أمرين :

(أ) استعمل في مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥، ٧٨، ٢٣٢، ٢٣٣). والمعروف أن أهل السنة في المقام الذي جاء ذكرهم فيه، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة، لا أصحاب الحديث، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والتكلمين (ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالي عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم فهو كافر... ومع أن هذا، كما ذكر الأستاذ، ورد في فيعمل التفرقة للغزالي، إلا أنه كان الواجب في رأيي أن يأتي الأستاذ بص في ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم، لا من خصم لهم، ولكننا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض. وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضيق على الناس في وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضي أبي بكر الباقلاني الذي ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول؛ حتى جاء إمام الحرمين الجويني وأعرض عن هذا الرأي، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدي إلا لبطلان المدلول بحال.

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما يفيض من قيمة هذه الرسالة القيمة التي عاج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددتها — في القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ينتظره من الدكتور الأهواني الذي تخصص في هذا الموضوع زمنا طويلا .

محمد يوسف موسى

الحياشة صدور أدبائه بالطموح إلى الخروج عن الطوق ، وإثبات الشخصية ، والساذرة أقلام نقاده في جناب من المديح والثناء المأجور ، أقول إنها ستعنى كثيراً بعرض موضوعها القصصى ومعالجته وتحليل شخصيات القصة ، وتسلسل الحوادث ، وبالعقدة والخاتمة ، وبالحفاظ على عنصرى الصدق والتشويق ، وإلى خصائص مقرر لا بعيد ألبتة عن التراحم في بناء القصة . أما مجموعتها هذه فهي غنية بالصور الوصفية ، وقد تكون قصة « شقيقة نفسى » من أغناها ، لأن بناءها قائم على رسم تطور حياة فتاة ، هي حياة المؤلف الخاصة قالت :

« وقد مررت الأيام على « وئام » فألقت بها في لجة الحياة ، وكأنها كانت تقول لها : حاولي النجاة ... فلاحت لها الدنيا بوجهها ، ورأت فيها الحماة الوديمة والحية الرقطاء . ثم فتحت كتاب الناس فراعها أن لم تجد فيه صفحة مما تعلمته في المدرسة ، وندمت على شباب نسجته بالمثل العليا ، فأخذت تتعمرس بآفات المجتمع غير منظورة على يأس ، ولا متقنمة بمصانة »

ثم تقول « وأسدل الستار على فصل من رواية عمرها ، فإذا هي في فصل جديد ، وإذا بها ككل أنثى تنضو عنها فتوة جاهدة ، وروز تيمات جديدة ، فتشيع قافلة من السنين تجاوز العشرين ، وينشق حجاب الزمان عن سر النفس القريب ، فإذا بها تجلى في طلعة دنياها التي خلقت من أجلها كل أنثى .

أحبي السيدة وداد محبة الولاء والصداقة ؟ وأرجو أن تحملنى مجموعة قصصها التالية على الوقوف عند كل قصة وقفة النهم من موائد مترعة الكؤوس بخمرة الحياة .

شخصيات ومذاهب فلسفية*

من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

من طبيعة الأدب شره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس في يسرولين لاعنف ولأمشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها ، راضية عنه مقبلة عليه مستأنسة إليه .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رزق الصبر عليها والأنس بها . ولما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لا يقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها . (٥) للدكتور عثمان أمين مدرّس الفلسفة بكلية الآداب - مطبعة الحلبي .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا التفور الذى يعاينه الجمهور من القراء . ولا أدري ماذا كانت حجتهم فى الأبهام وعذرهم فى التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة القموض وهيبه الخفاء ؛ وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستنثار بالأسرار ، أم جاءهم ذلك القموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء « المجهول » « وما بعد الطبيعة » وما إليهما مما أبدىء الكلام فيه وأعيد ولا يزال المجهول مجهولاً ؟ والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة - وخاصة عند المسلمين لا يفيد القارئ أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله - كالكلام فى النفس ووحدها وبقائها ؛ وكالكلام فى الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالكلام فى معرفة الله للجزئيات أو الكليات ، وكالكلام فى البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون فى هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أراحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتنتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازى وهو لا يدري إلى أين ... وعبر عن ذلك بقوله فى ييتين عبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله ، وهما :

لعمري ما أدري وقد آذن البلى بماجل ترحال إلى أين ترحال
وإن عل الروح بعد خروجها من الهيكل النحل والجسد البالى
ولقد أراح - والله - خطيب أباد وحكيمها « ابن ساعدة » نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها يمتضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا عا لة حيث صار القوم صائر ...

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صواباً فى القول حين قالت فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلاً أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمر التي يتجه إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، وبما لجوا بحوثهم فى أسلوب سائق جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبد الواحد وافق قد هدف إليها فى رسالته الجلية « الأسرة والمجتمع » التي تعد بحق تحفة فى المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، وبالتشريع

حد لا تغفره لك عربيتك وإسلامك ، ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى ، على الرغم من إعلانك أنك لا تتحلل الأسباب للإشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبت في صفحتين ونصف صفحة على حين خصصت « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنت يا أخى منصفاً لمرب حين قلت في هذا الفصل « ولعل أسبنوزا عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى ابن ميمون » . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين في كتابه : "The Story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت يا أخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة في الطبيعة البشرية » سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك في هذا ... فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت في يناير سنة ١٧٣٩ . في مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادئ الأخلاق .

وذكرت أن « هيوم » بعد رحلته في فرنسا عاد إلى أدنبره فقصى فيها آخر سنى حياته . وهنا طفرة في التاريخ لا أظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبره — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً في وزارة الخارجية فقصى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر في أدنبره سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولا له !! وأنا أعرفك يا أخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامه المرة لما تقع عليه من أمورنا ... ولكن سياسة ابن سينا يا أخى تستحق الإعجاب ولا تستحق مرور الابتسامات . وقد كتب عنها الأب بولس مسمد فصلاً لطيفاً في كتابه الصغير عن « ابن سينا الفيلسوف » (٣)

وبالرغم مما ذكرته لك فإن كتابك قد ترك في نفسى الأثر الطيب الذى تركه عندى آثارك . وقد رز من مكتبتى المزلّة التى أنت أعرف الناس بها . فأهنتك على كتابك وأهنتك على جهنك فى الجمعية الفلسفية التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء النيبات والمجهولات ...

ولكن الدكتور عثمان أمين — وهو شريك الدكتور على عبد الواحد وافي فى كتابة تصدير هذه السلسلة — ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سدّ النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار الفكرين) .

وما كان الأنبياء يا صديقى فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لا تنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يُعدُّ ركونا إلى أهون الحلين وأخف البئتين ...

إلا أننى لا أكتمك أننى وجدت فى كتابك لونا من المتعة واللذة عرفته من قبل فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ أخذاً بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصديركم لأول كتاب .

وما أنا بقاتل هنا لك جديداً ؛ فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الموضح ما صارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة فلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدري يا أخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلاً كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطالان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبداً وأنا ما عرفتك ألا بجناز الصخور والوعور؟؟

وهل بين الذين كتبت عنهم غرض يؤلف بينهم ، أو غرض اتفق لك فى الكتابة عنهم ؛ أم هى أشقات من الشخصيات لا يؤلف بينها غرض ولا يجمع بينها إلا كلمة الفلسفة؟؟

ولا يزال (ميزانك) يا أخى فى تقديم الكتاب وحفظ الأنسب بين فصوله فيه كثير من السجاء فى موضع ، والشح فى موضع . فإن الفصل الذى كتبتَه عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى غليلا . فقد أوجزت فيه إلى

(١) ص ١٦٢ طبعه Simon and Schuster نيويورك .

(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hume

(٣) مطبعة الاتحاد على السور بيروت سنة ١٩٣٧